جامع التفاسير رِوَاية ودِرَاية

جمْع ودِرَاسة (الآيات ١١٣-١١٧) من سورة آل عمران

إعداد: أبرار سامي صالح بليلة
كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة الملك عبد العزيز-
المملكة العربية السعودية

المُسْتَخْلَص:

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على رسوله الأمين وعلى آلِه وصحبه أجمعين. أما بعد: فإن هذا البحث (جامع التفاسير رواية ودراية جمعًا ودراسة الآيات (١١٣-١١٧) من سورة آل عمران) رسالة علمية مقدمة لجامعة الملك عبد العزيز بجدة لنيل درجة الماجستير في قسم الدراسات الإسلامية تخصص الكتاب والسنة، وقد جاءت هذه الرسالة متممة لما قبلها من رسائل، وهي ضمن مشروع للدراسات القرآنية المسمى بـ (جامع التفاسير).

ومن أهداف البحث: التعرّف على مصادر التّفسير، وتطورّه، ومناهج المفسّرين، والتمرن على نقدِ التّفسير، والجمع بين أقوال المفسّرين، والتّطبيق العمليّ لمقررات السّنة المنهجيّة، وتوظيف الجهود لإخراج موسوعة تفسيرٍ ذات منهج علميّ رصين. وفكرة البحث: جمعِ التفسيرِ الأثريّ للآيات، والتّفسير بالدّراية، مرتّبًا تاريخيًا بحسب التّرتيب الزّمني بتقديم الأقدم وفاة، مع عدم تكرار النّقول، ودراسة هذا الجمع، وبيان ما تثبت نِسبته إلى قائلِه وما لا تثبت، وما يصِحُّ من عدمِه، والجمع أو التّرجيح في حال الخِلاف، مع الاستفادة من أقوالِ المفسّرين في النّقد والتّرجيح ومراعاة قواعد التّرجيح، وتخريج الأحاديث والآثار وبيان درجتها من حيث الثّبوت وعدمِه، وعدم ذكر الاستطرادات الفقهية، والعقدية، والنّحويّة، والرّوايات الموضوعة، والإسرائيليّات، والتّرجمة للأعلام ترجمةً مختصرة في أوّل موضِع.

Comprehensive Collection of Quranic Interpretations: Narrative and Comprehensiona Collection and Study of Verses ١١٣-١١٧ From the AL-E-IMRAN

Abstract:

Praise be to Allah, and peace and blessings be upon our honest Prophet, and to his family and companions.

This paper on (The Revision of "Jame'ae Al-Tafaseer " As a Book of Narration Based, Opinion-Oriented, Compilation & Study Book of Exegesis, Surat Al-E-Imran, verses ١١٣-١١٧ is an academic paper presented to King Abdulaziz University in Jeddah for obtaining the MA degree in Islamic Studies, major: Kitab & Sunnah. The paper is a completion of previous research papers within the project of Quranic Istudies under the title of "Jame'ae Al-Tafaseer.

The research objectives are: Identify the sources of interpretation, its development, methods of the interpreters, and experience to criticize the interpretation, and unifying between the statements of interpreters, the practical application to the year of the theoretical courses, and exert the efforts to interpret the output encyclopedia of sober scientific approach.

The research idea is to collecting the Quranic Interpretations, Narration and Comprehensive Study of Verses, arranged historically according to chronological order to reinforce previous to the subsequent without repeating statements ،the study of this

combination, ،and an explanation to what assured its attribution to its narrator and what doesn't attribute, what is true or not, and the combination of preference in the state of rejection, with the benefit of the commentators in the criticism and preference, considering the rules of preference. And attribution "takhreej" of sayings "Ahadeeth" and traces "Al-Athar" and the explanation of its degree according to its constancy or not. And not mentioning the jurisprudential, ideological, philosophical, grammatical digression, and the invented narration and the Israeliyat.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنَّ لا إله إلاّ الله، وأنَّ محمداً عبده ورسوله صلَّى الله عليه، وعلى آله وصحبه وسلم. أما بعد:

القرآنُ الكريم كلامُ ربِّ العالمين نزل به خيرُ الملائكة جبريلُ عليه السلام على خير الرُّسُل في أشرف البِقاع، وفي خير شهرٍ، وفي خير الليالي ليلة القدر، لخير أمةٍ أخرجت للناس، بأفضل لغةٍ وأجمعها، فأخرجهم به من الظلمات إلى النور، ومن رجس الجاهلية إلى طهارة الإسلام. حفِظَه الله ﷻ قبل إنزاله، قال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾[البروج: ٢١، ٢٢]. وصانَه من الشياطين وقت نزوله، قال تعالى: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾[الشعراء: ٢١٠، ٢١١]. وتكفَّل بحفظِه بعد نزوله، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[الحجر: ٩]. هو أحسن الحديث، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ ﴾[الزمر: ٢٣].

كتابٌ لو أُنْزِل على جبل لتصدع من خشية الله، قال تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[الحشر: ٢١]. تحدى الله ﷻ الإنس والجن أن يأتي بمثله فعجزوا، وأعلن الله ﷻ هزيمتهم في هذا، قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[الإسراء: ٨٨]. فيه هدايةُ الخلق، ومع الهداية فيه الرحمة، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[الأعراف: ٥٢]. فيه شفاء للمؤمنين، قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ

﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[الإسراء: ٨٢]. هو نورٌ في الحياة لإبصار نور الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾[المائدة: ١٥].

كتابٌ تعلُمُه خيرٌ من أموال الدنيا فعن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ قَالَ: "خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ[١]، فَقَالَ: أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ فَيَأْتِي مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ، فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلاَ قَطْعِ رَحِمٍ؟ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللّهِ نُحِبُّ ذلِكَ. قَالَ: أَفَلاَ يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللّهِ ﷻ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلاَثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلاَثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ"[٢].

ولفضل صحبة القرآن الكريم، ورغبةً في أن ينالني أجر قارئه، وسامعه، وحافظه، وانطِلاقًا من رَغبَتي في الاشْتِغالِ بخدمة كتاب الله ﷻ حرصْتُ على المُسَاهمَة في مَشْروع (جامع التّفاسِير رِوايَة ودِرايَة) الذي وفّق الله تعالى القِسْم لطَرْحِه، فكان مؤضوعي: تفسير عشرون آية من سورة آل عمران، من الآية: (١١٣) إلى الآية: (١١٧).

أهداف البحث:

١- التعرف على مصادر التفسير.

٢- التعرف على تطور التفسير.

---

(١) أبو السعادات، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، جـ٣، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي، (بيروت- لبنان: دار إحياء التراث العربي)، ص: ٧٠.

(٢) مسلم بن الحجاج أبو الحسن (مسلم): **المسند الصحيح المختصر**، ح رقم (٨٠٣)، في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت)، ص:١٩١-١٩٢.

٣- الوقوف على مناهج المفسرين وطرائقهم في التأليف.

٤- التمرس على نقد التفسير والنظر والجمع بين أقوال المفسرين.

٥- التطبيق العملي لمقررات السنة المنهجية.

٦- توظيف الجهود لإخراج موسوعة تفسير ذات منهج علمي رصين.

٧- منهج الموضوع يستوعب تخصص كتاب وسنة؛ لما فيه من الروايات وتخريجها والحكم عليها.

٨- التمرس على صياغة التفسير بالاستفادة من الإعراب والأساليب البلاغية.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وبابين، وخاتمة، وفهارس. وتفصيلها كالتالي: المقدمة: وتشمل: فكرة البحث، وأهدافه، وخطته ومنهج العمل المتبع فيه. وأما خطة البحث فهي كالآتي: **الفصل الأول: الفئة المؤمنة بالإسلام من أهل الكتاب والثواب على أعمالهم.** الآيات من (١١٣) إلى (١١٥). **الفصل الثاني: جزاء الكفار ومصير نفقاتهم يوم القيامة.** الآيات من (١١٦) إلى (١١٧). وكل فصل من الفصول السابقة يندرج تحته ثلاثة مباحث وهي: **المبحث الأول: التفسير بالرواية.** ويشمل المطالب الآتية: المطلب الأول: سبب النزول إن وُجد. المطلب الثاني: تفسير القرآن بالقرآن إن وُجد. المطلب الثالث: التفسير الأثري الوارد عن النبي ﷺ والصحابة ﷺ والتابعين رحمهم الله. **المبحث الثاني: التفسير بالدراية.** ويشمل المطالب الآتية: المطلب الأول: التناسب بين الآيات والسور. المطلب الثاني: المقاصد. المطلب الثالث: أقوال المفسرين بالدراية. المطلب الرابع: أحكام القرآن إن وُجدت. المطلب الخامس: الاستنباطات. **المبحث الثالث: التفسير الجُمَلِي. والخاتمة:** وتشتمل على أهم نتائج البحث العامة والخاصة. وقائمة المراجع.

الفصل الأول

الفئة المؤمنة بالإسلام من أهل الكتاب والثواب على أعمالهم.

المبحث الأول: التفسير بالرواية.

المطلب الأول: سبب النزول.

قولـه تعـالى: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾. ورد في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

القول الأول: عن ابن مسعود ﷺ قال: "أَخَّرَ رسول الله -ﷺ- صلاة العشاء ثمَّ خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة فقال: أما أنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر اللهﷻ هذه الساعة غيركم. وأنزلت هذه الآية: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ حتى بلغ: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾[1].

القول الثاني: عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "لمَّا أسلم عبد الله بن سلامﷺ، وثعلبة بن سعيةﷺ، وأسيد بن سعيةﷺ، وأسد بن عبدﷺ، ومن أسلم من يهود معهم فآمنوا، وصدقوا، ورغبوا في الإسلام، ورسخوا فيه، قالت أحبار اليهود وأهل الكفر منهم: ما آمن بمحمد واتبعه إلا شرارنا، ولو كانوا خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره فأنزل الله ﷻ في ذلك: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إلى قوله: ﴿وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، وبنحوه قال مقاتل بن سليمان، وقتادة وابن جريج رحمهم الله[2].

---

(١) علي بن أحمد الواحدي، **أسباب نزول القرآن**، تخريج: عصام عبد المحسن الحميدان، (الدمام: دار الأصلاح، ١٤١٢هـ، ص١١٩.

(٢) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **العجاب في بيان الأسباب**، جـ٢، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، (الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤١٨هـ، ص٧٣٥-٧٣٦.

القول الثالث: عن عطاء رحمه الله قال: "نزلت في أربعين رجلًا من أهل نجران من العرب، واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم، كانوا على دين عيسى عليه السلام، فلما بُعِث محمد -ﷺ- صدقوا به، وكان في الأنصار منهم عِدّة قبل الهجرة منهم: أسعد بن زرارة ﷺ، والبراء بن معرور ﷺ ، ومحمد بن مسلمة ﷺ وصرمة بن قيس ﷺ، كانوا موحدين، ويغتسلون من الجنابة، ويقومون بما عرفوا من الحنيفية"(١).

الترجيح: مما سبق يظهر – والله أعلم– أن الأقرب للصواب هو القول الثاني وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما. وذلك لما يأتي(٢):

١– لأنه يوافق سياق الآيات فهي تتحدث عن أهل الكتاب. ويؤيد هذا من ضوابط الترجيح في أسباب النزول: (الترجيح بدلالة السياق القرآني).

٢– لأنه صرّح بسبب النزول.

٣– هذا القول هو المشهور عند المفسرين كما أشار إلى ذلك ابن كثير رحمه الله حيث قال: "والمشهور عن كثيرٍ من المفسرين... أن هذه الآيات نزلت فيمن آمَنَ من أحبار أهل الكتاب، كعبد الله بن سَلام ﷺ، وأسَد بن عُبَيْد ﷺ، وثعلبة بن سَعْية ﷺ، وأسَيد بن سعْية ﷺ، وغيرهم".

(١) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، العجاب في بيان الأسباب، **مرجع سابق**، ٧٣٦/٢.

(٢) خالد بن سليمان المزيني، **المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة**، دراسة الأسباب رواية ودراية، جـ١، الدمام– المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، ١٤٢٧هـ، ص١٨٠.

المطلب الثاني: تفسير القرآن بالقرآن.

أولًا: قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

أ- ذكر الله ﷻ في هذه الآيات صفات حميدة للطائفة المؤمنة من أهل الكتاب، وذُكر في مواضع أخرى في القرآن الكريم صفات أخرى لهم ومن ذلك[1]:

١- أنها تتلو الكتاب حق تلاوته وتؤمن بالله ﷻ، وهو قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة: ١٢١].

٢- أنهم يؤمنون بالله ﷻ وما أنزل إلينا وما أنزل إليهم، وأنهم خاشعون لله ﷻ لا يشترون بآياته ثمنا قليلًا، وهو قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[آل عمران: ١٩٩].

ب- قوله تعالى: ﴿أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾. جاءت كلمة ﴿أُمَّةٌ﴾ هنا بمعنى عُصْبة وجماعة: ومن نظائر هذه الآية بهذا الوجه من المعنى ما يأتي[2]:

١- قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً﴾ [البقرة: ١٢٨].

٢- قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾[البقرة: ١٤١].

---

(١) الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، جـ٣، بيروت، دار الفيحاء، ١٤٣١هـ، ص١٦٢.

(٢) الحسين بن عمر الدامغاني، **إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**، ط ٣، حققه عبد العزيز سيد الأهل، لبنان، دار العلم للملايين، ١٩٨٠م، ص٤٩٨.

ج- قولـــه تعـــالى: ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾. جـــاءت كلمـــة ﴿ءَانَآءَ﴾ هنا بمعنى الساعات، ومن نظائر هذه الآية بهذا الوجه من المعنى ما يأتي(١):

١- قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ﴾[طه: ١٣٠] .

٢- قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾[الزمر: ٩].

د- قولـه تعـالى: ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾. من الآيات المشابهة لهذه الآية(٢):

١- قولـــه تعـــالى: ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[آل عمران: ١٠٤].

٢- قولـــه تعـــالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[آل عمران: ١١٠].

ثانياً: قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ تُكْفَرُوهُ﴾ على قراءة الفعلين بالتاء.

أ- من الآيات المشابهة لهذه الآية(٣):

١- قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾[البقرة: ١٩٧].

---

(١) **نفس المرجع**، ص٥٤.

(٢) محمد بن عبد الله الصغيّر: **دليل المتشابهات اللفظية في القرآن الكريم**. (الرياض- المملكة العربية السعودية: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ، ص٦٤.

(٣) عمر بن علي ابن عادل الدمشقي، (١٤١٩هـ)، **اللباب في علوم الكتاب**، جـ٥، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ص٤٨١.

٢- قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾[البقرة: ٢١٥].

المطلب الثالث: التفسير الأثري الوارد عن النبي ﷺ والصحابة ﷺ والتابعين رحمهم الله.

المسألة الأولى: التفسير الأثري الوارد عن النبي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾.

نظير قوله: ﴿قَائِمَةٌ ﴾ على معنى أنها مستقيمة على الهدى، وكتاب الله ﷻ، وفرائضه وشرائع دينه، والعدلُ والطاعة، وغير ذلك من أسباب الخير، ما قال النبيﷺ: "مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا"(١).

المسألة الثانية: التفسير الأثري الوارد عن الصحابة ﷺ والتابعين رحمهم الله.

أولاً: قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾.

١- **قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾**. اختلف الصحابة ﷺ والسلف الصالح في المُراد بقوله: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ على قولين:

(١) محمد بن إسماعيل أبو عبد الله (البخاري): **الجامع المسند الصحيح**، جـ٣، ح (٢٤٩٣)، في كتاب الشركة، بَاب هَلْ يُقْرَعُ فِي الْقِسْمَةِ وَالِاسْتِهَامِ فِيهِ، بيروت، دار طوق النجاة، ٢٠٠١م، ص١٣٩.

القول الأول: المراد ليس أهل الكتاب وأمة محمد ﷺ القائمة بحق الله ﷻ سواء عنده. وبه قال: ابن مسعود ﷺ، والسُدِّي رحمه الله[١]. ويؤيد هذا القول سبب النزول الذي رواه ابن مسعود ﷺ السابق ذكره.

القول الثاني: المراد ليس أهل الكتاب مستوين، بل منهم من كفر، ومنهم من آمن بكتابه وبالقرآن ممن أدرك شريعة الإسلام. قال به: ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة ، وابن جريج، ومقاتل[٢] رحمهم الله، وجمعٌ كبيرٌ من المفسرين. ويؤيد هذا القول سبب النزول الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما السابق ذكره.

الترجيح: بناء على ما سبق يظهر – والله أعلم– أن الأقرب للصواب هو القول الثاني وهو أن المراد بـ ﭽ ھ ھے ﭼ. أيّ: ليس أهل الكتاب مستوين، بل منهم من كفر، ومنهم من آمن بكتابه وبالقرآن ممن أدرك شريعة الإسلام[٣]. **وذلك لما يأتي:**

- لأن سياق الآية قبل ذلك تحدث عن أهل الكتاب قال تعالى: ﴿**وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ**﴾[آل عمران: ١١٠]، فتحدث عن صنف الفاسقين، ثم أتت الآيات تتحدث عن صنف المؤمنين في قوله: ﴿**لَيْسُوا۟ سَوَآءً**﴾ فتوجيه الكلام إلى ما كان نظيراً لِمَا في

(١) عطية بن نوري بن محمد آل خلف الفقيه، أسانيد نسخ التفسير والأسانيد المتكررة في التفسير جمعًا ودراسة، **رسالة ماجستير**، جامعة أمّ القرى، مكّة المكرّمة (١٤٢٨هـ)، ص٩٨.

(٢) ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد الرازي (١٤٠٥هـ). تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين. سورتي آل عمران والنساء، **رسالة دكتوراه**، جامعة أم القرى، دراسة وتحقيق: حكمت بشير ياسين، ٦٦٥/٢، رقم (١٢٢٠).

(٣) رجحتُ هذا القول، ثم اطلعت على رسالة دكتوراة لزيد بن علي بن مهدي مهارش، ترجيحات أبي جعفر النحاس في التفسير، من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة المائدة جمعاً ودراسةً وموازنةً ، ١٤٢٥هـ –١٤٢٦هـ، جامعة أم القرى، قسم الكتاب والسنة، ص:٥٦٦.

سباق الآية أولى من توجيهه إلى ما كان منعدلًا عنه[١].

- لأنَّ الضمائر توالت عائدة على أهل الكتاب. قال أبو حيان رحمه الله[٢]: "والظاهر عود الضمير على أهل الكتاب المذكورين في قوله: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ لتوالي الضمائر عائدة عليهم فكذلك ضمير ﴿لَيْسُوا﴾".

٢- **قوله تعالى: ﴿قَآئِمَةٌ﴾**. ورد عن الصحابة ﷺ والتابعين رحمهم الله ثلاثة أقوال:

أ- أيّ: أنها قائمة على كتاب الله ﷻ وفرائضه، وحدوده، وما أمر به فيه. قال به: ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة، والربيع بن أنس رحمهم الله[٣].

ب- أيّ: عادلة. قال به: الحسن، ومجاهد وابن جريج رحمهم الله[٤].

ج- أيّ: مطيعة. قال به: السُدِّي رحمه الله [٥].

---

(١) ذكر هذا السبب الدكتور زيد مهارش في رسالته ترجيحات النحاس. ينظر: مهارش، **مرجع سابق**، ص:٥٦٦.

(٢) أبو حيان، محمد بن يوسف بن حيان، (١٤٢٢ هـ). البحر المحيط. تحقيق: عادل عبد الموجود، علي معوض، وزكريا النوقي، وأحمد الجمل. بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية، ٣٧/٣.

(٣) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، العجاب في بيان الأسباب، **مرجع سابق**، ٢١٥/١.

(٤) علي بن محمد بن حبيب الماوردي، **النكت والعيون**، جـ١، تحقيق: السيد بن عبد المقصود، بيروت، دار الكتب العلمية، ص٤١٧.

(٥) البغوي، الحسين بن مسعود، (١٤٠٩هـ)، **معالم التنزيل في التفسير والتأويل**، جـ٢، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، ص٩٣.

وقد ذكر المفسرون رحمهم الله في معنى الآية قولين:

القول الأول: الاستقامة، وقد تنوعت عباراتهم وتقاربت في وصف هذا المعنى، وهذا القول يدخل تحته كذلك أقوال السلف السابقة ومن أقوال المفسرين:

أ- مواظبة على أمر الله ﷻ، مستقيمة ثابتةٌ على الحق، متبعة للعدل، لا تظلم أحدًا، ولا تخالف أمر الدين(١).

ب- مستقيمة عادلة، من قولهم: أقمت العود فقام أيّ: استقام(٢).

ج- مهدية عاملة بكتاب الله تعالى(٣).

د- قائمة بأمر الله ﷻ، وبالحق، مطيعة لشَرْعه، مُتَّبِعة نبيَّ الله(٤).

القول الثاني: أنها قائمة في الصلاة(٥) يتلون آيات الله ﷻ آناء الليل، فعبّر عن تهجدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل، والذي يدل على أن المراد من هذا القيام

(١) المَرَاغيّ، أحمد مُصطفى، ١٣٦٥هـ، **تفسير المَرَاغي**، جـ٤، القاهرة، مكتبة ومطبعة مُصطفى البابي الحَلَبي، ص٣٥.

(٢) السمعاني، منصور بن محمد، ١٤١٨هـ، **تفسير القرآن**، جـ١، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس، الرياض، دار الوطن، ص٣٤٩.

(٣) السمرقندي، نصر بن محمد بن إبراهيم، ١٤١٣هـ، **بحر العلوم**، جـ١، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي محمد، زكريا النوتي. بيروت، دار الكتب العلمية، ص٢٩٢.

(٤) البقاعي، إبراهيم بن عمر، ١٤٠٨هـ، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، جـ٥، المحقق: عبد السميع محمد أحمد، الرياض، المملكة العربية السعودية، مكتبة المعارف، ص٣١.

(٥) ابن عطية، عبد الحق بن غالب، (١٤٢٢هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، جـ١، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، لبنان، دار الكتب العلمية، ص٤٩٢.

فـي الـصلاة قولـه: ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ والظـاهر أن الـسجدة لا تكـون إلا فـي الصلاة[١].

الترجيح: مما سبق يظهر- والله أعلم- أنه لا تعارض بين القولين فالقول الثاني وصف حال التالين في آناء الليل بأنهم قائمون في الصلاة، ومن كانت هذه حاله فلا محال أنه معتدل مستقيم على أمر الله ﷻ وهو مفاد القول الأول الذي يدخل تحته أقوال الصحابة ﷺ والتابعين رحمهم الله[٢].

٣- في قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَ﴾. أيّ: يَتّبِعون، يقال: تلاه إذا اتّبعه. قال به مجاهد. وقال المفسرون رحمهم الله[٣]:

أ- يقرءون، ويُتْبِعون، لأن التلاوة القراءة، وأصل الكلمة من الاتباع والتتبع أيّ: يُتْبِعون بعض الشيء بعضاً فكأن التلاوة هي اتباع اللفظ اللفظ[٤].

ب- يسردون[٥].

الترجيح: مما سبق يظهر -والله أعلم- أنَّ الأقوال السابقة من قبيل اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد، فلا تعارض بينها، وهي معانٍ متقاربة، ومجموع هذه الأقوال هو

---

(١) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، (١٤١٥هـ)، **مختار الصحاح**، جـ٨، تحقيق: محمود خاطر، بيروت، مكتبة لبنان، ص٢٠٥.

(٢) ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، ٤٩٢/١.

(٣) الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، (١٤٢٢هـ)، **الكشف والبيان في تفسير القرآن**، جـ٣، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ص١٣١.

(٤) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، **مرجع سابق**، ٢٠٦/٨.

(٥) ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، ٤٩٢/١.

تفسير للآية. ويؤيد هذا القاعدة التفسيرية: (عامة ألفاظ القرآن تدل على معنيين فأكثر). وقاعدة: (الكلمة إذا احتملت وجوهًا لم يكن لأحد صرف معناها إلى بعض وجوهها دون بعض إلا بحجة).

٤- **قوله تعالى:** ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾. اختلف الصحابة ﷺ والسلف الصالح رحمهم الله في المُراد بقوله: ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾ هل هذه الآناء مُعيّنَة من الليل أم لا على قولين:

القول الأول: أنها مُعيّنَة، وفيها ثلاثة آراء:

١- صلاة العَتَمة (العشاء). قال به: عبد الله بن مسعود ﷺ، ومجاهد رحمه الله [١].

٢- جوف الليل. قاله به: ابن عباس رضي الله عنهما والسُدِّي رحمه الله [٢].

٣- أنها بين المغرب والعشاء. قال به : منصور بن المعتمر رحمه الله[٣].

القول الثاني: ساعات الليل من غير تعيين. قال به: قتادة وعبد الله بن كثير، والربيع بن أنس.

ومقاتل رحمهم الله ، وجماعة من المفسرين[٤].

---

(١) علي بن محمد بن حبيب الماوردي، النكت والعيون، **مرجع سابق**، ٤١٧/١.

(٢) ابن المنذر، محمد بن إبراهيم النيسابوري، (١٤٢٣هـ)، **تفسير القرآن**، جـ١، حققه وعلق عليه: سعد بن محمد السعد، رقم (٨٣٠)، المدينة النبوية، دار المآثر، ص٣٤١.

(٣) أحمد بن عبد الله الأصبهاني، (١٤٠٩هـ)، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، جـ٥، بيروت، دار الكتب العلمية، ص٤٠.

(٤) محيي الدين بن شرف بن مرّي النووي، **تهذيب الأسماء واللغات**، جـ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ص٢٨٣، رقم (٣٢٧).

الترجيح: بناء على ما سبق يظهر – والله أعلم– أنَّ الأقرب للصواب هو القول الثاني؛ وهو أن المراد بقوله تعالى: ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾ هو ساعات الليل من غير تعيين. يؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية: (القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية)[1]. فكلمة (آناء) أصل اشتقاقها في اللغة معناه: ساعات الليل كما سيأتي في اللغة.

المبحث الثاني: التفسير بالدراية.

المطلب الأول: التناسب بين الآيات.

هذه الآيات استمرار في بيان أوصاف أهل الكتاب، ففي الآيات السابقة صنفهم القرآن صنفين منهم المؤمنون، وكثير منهم الفاسقون، ثم بعد أن انتهى السياق من ذكر الفاسقين، يتوجه هنا ليبيّن حال المؤمنين منهم، ولما كان السياق ربما أفهم أنهم كلهم كذلك قال مستأنفًا نافيًا لذلك: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ﴾ أيّ: في هذه الأفعال، فهو استئناف مبين لكيفية عدم التساوي، ومزيل لما فيه من الإبهام، قصد به إنصاف طائفة من أهل الكتاب، بعد الحكم على معظمهم بصيغة تعمّهم، فيُثْني عليهم حسن استجابتهم لداعي الإيمان ودخولهم في الإسلام، وخلعهم الباطل، وعدم مراعاتهم سلفًا، ولا خلفًا، بعيدًا، ولا قريباً، وينوه بحسن مشاركتهم للمؤمنين فيما نيط بهم من مهمة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر والمسارعة إلى الخيرات[2].

---

(١) الحربي، حسين بن علي بن حسين، (١٤١٧هـ)، **قواعد الترجيح عند المفسرين**، جـ٢، الرياض، دار القاسم، ص٥١١.

(٢) محمد عناية الله أسد سبحاني، (١٤١٤هـ)، **البرهان في نظام القرآن**، جـ٢، دار الكتب، ص:٤٧٥.

المطلب الثاني: المقاصد.

المقصود من هذه الآيات بيان عدل الله ﷻ في بيان حقيقة الواقع في إظهار الأخيار، وإبعاد الأشرار، فقد نوَّه الله ﷻ في هذه الآيات عن إيمان بعض أهل الكتاب بالإسلام، وتصديقهم بالقرآن، ورغبتهم في دين اللّه ﷻ ورسوخهم فيه[١].

المطلب الثالث: اللغة والغريب.

١- **قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ﴾**. سواء: اسم بمعنى المماثل، فسَواءُ الشيءِ مثلُه، يقال: ساوى الشيءُ الشيءَ إذا عادَلَه، وساوَيْتُ بينَ الشَّيْئَيْنِ إذا عَدَّلْتَ بينَهما، وسَوَّيْت، ويقال: فلانٌ وفلانَ سواءٌ أَيّ: مُتَساويان وقَوْمٌ سواءٌ؛ وأصله مصدر مشتق من التسوية فيوحَّد، لا يثَنى، ولا يجمع، فمعنى الآية هنا أَيّ: لَيْسوا مُسْتَوين[٢].

٢- **قوله تعالى: ﴿أُمَّةٌ﴾**. أيّ: جماعة[٣]، والأمة: كل جماعة يجمعهم أمر ما إما دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان واحد، سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيراً، أو اختياراً، وجمعها أمم. والأمة أيضًا الطريقة من أممت الشيء إذا

(١) محمد رشيد بن علي رضا، (١٩٩٠م)، **تفسير المنار**، جـ٤، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص٥٩.

(٢) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، **مرجع سابق**، ص:٣٢٦.

(٣) محمد بن عُزير السجستاني، (١٤١٦هـ) **نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن**، المحقق: محمد أديب عبد الواحد جمران، سوريا، دار قتيبة، ص ٨٩.

قصدته، فيكون المعنى ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ أيّ: ذوو طريقة قائمة مستقيمة. ويطلق على الأمة أيضًا الفريق والطائفة [١].

٣- **قوله تعالى: ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾**. مأخوذ من: (أَنى الشيءُ) يأْنِي أَنْياً وآناء الليل: ساعاته، واحدها إِنْيٌ وأنىً وأَنًى[٢].

٤- **قوله تعالى: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾**. المعروف في اللغة: مأخوذ من الفعل (عَرَفَ)، والمعروف ضد المنكر[٣]، وهو كلُّ ما تَعْرِفه النفس من الخيْر، وتَطمئنّ إليه، وهو اسم جامع لكل ما عُرف من طاعة اللّه، والتقرّب إليه، والإحسان إلى الناس، وكل ما ندَب إليه الشرعُ[٤]، والمعروف اسم لكل فعل يعرف بالعقل أو الشرع حُسْنُه، والمنكر ما ينكر بهما. قال الطبري رحمه الله: "أصل المعروف: كل ما كان معروفًا فعله، جميلا مستحسنًا، غير مستقبح في أهل الإيمان بالله، وإنما سميت طاعة الله ﷻ معروفًا؛ لأنه مما يعرفه أهل الإيمان ولا يستنكرون فعله"[٥].

٥- **قوله تعالى: ﴿ٱلْمُنكَرِ﴾**. مأخوذ من الفعل (نَكُرَ) نَكارَةً والمُنْكَرُ من الأَمر: خلاف المعروف وكلُّ ما قبحه الشرع وحَرَّمَهُ وكرهه فهو مُنْكَرٌ ونَكِرَه يَنْكَرُه

---

(١) سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط، (١٤١١هـ)، **معاني القرآن**، تحقيق: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، ص٢٣١.

(٢) محمد بن أحمد الأزهري، (١٣٨٧هـ)، **تهذيب اللغة**، جـ١٥، تحقيق: عبد السلام هارون، ومحمد علي النجار، وعبد الحليم النجار، وآخرون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ص٥٥٢.

(٣) الجوهري، إسماعيل بن حماد، (١٩٩٠م)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، جـ٤، ط٤، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، لبنان، دار العلم للملايين، ص١٤٠١.

(٤) ابن منظور، **لسان العرب**، جـ٢، ط٢، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٧م، ٢٣٦/٩.

(٥) **نفس المرجع**، ١٠٥/٧.

نَكَراً فهو مَنْكُورٌ واسْتَنْكَرَه فهو مُسْتَنْكَرٌ والمنكر واحد والجمع مَناكِيرُ[١]، والمنكر: كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه، أو تتوقف في استقباحه واستحسانه العقول فتحكم بقبحه الشريعة. قال الطبري رحمه الله[٢]: "أصل المنكر: ما أنكره الله ﷻ، ورأوه قبيحًا فعلهُ، ولذلك سميت معصية الله ﷻمنكرًا، لأنَّ أهل الإيمان بالله ﷻ يستنكرون فعلها، ويستعظمون رُكوبها".

٦- **قوله تعالى: ﴿فَلَن يُكۡفَرُوهُۚ﴾**. مأخوذ من الفعل (كَفَرَ)، وأصله: الستر والتغطية، يقال لمن غطى درعه بثوب: قد كفر درعه، والكفر: ضد الإيمان، سمي بذلك لأنه تغطية الحق، وسمي الكافر كافراً؛ لأَن الكفر غطى قلبه كله، ولأَنه ستر نعم الله ﷻ، ونعمه آياته الدالة على توحيده، ومنه سمي الليل كافراً؛ لأَنه يستر بظلمته كل شيء، والكفر أيضاً جحود النعمة، وهو ضد الشكر، ومنه: كَفْرَان النعْمَةَ، أيّ: جحودها وسترها[٣].

٧- **قوله تعالى: ﴿بِٱلۡمُتَّقِينَ﴾**. التقوى في اللغة مأخوذة من الفعل (وقى) بمعنى الاتقاء وهو اتخاذ الوقاية، يقال: وقاهُ: صانَه، ووقاه ما يَكْرَه ووقَّاه: حَماهُ منه[٤].

---

(١) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، **مرجع سابق**، ٨٣٦/٢-٨٣٧.

(٢) **نفس المرجع**، ١٠٥/٧.

(٣) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، (١٤١٤هـ)، **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، جـ٥، تحقيق: عمر الفاروق الطبَّاع، لبنان، مكتبة المعارف، ص١٩١.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، **مرجع سابق**، ٤٠١/١٥.

أ- المطلب الثالث: أقوال المفسرين بالدراية.

أولاً: قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾.

١- قوله تعالى: **﴿لَيْسُوا سَوَآءً﴾**. أيّ: ليس أهل الكتاب كلُّهم على حَدّ سواء، فهم غير متساوين، ولا متعادلين، بل مختلفين، فلا يستوي من آمن منهم بمن كفر، وهم متفاوتون في الصلاح والفساد، والخير والشر، ويترتب على ذلك تفاوتهم في الثواب أيضًا[١].

٢- **قوله تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾**. اُخْتُلف في المراد بلفظ (أهل الكتاب) [٢]:

القول الأول: أنَّ المراد بهم الذين آمنوا بموسى وعيسى عليهما السلام، وعليه الجمهور.

القول الثاني: أنَّ المراد بهم كل من أوتي الكتاب من أهل الأديان، وعلى هذا القول يكون المسلمين من جملتهم.

الترجيح: مما سبق يظهر والله أعلم أن الأقرب للصواب هو القول الأول وهو أن المراد بلفظ (أهل الكتاب) هم الذين آمنوا بموسى وعيسى عليهما السلام، وذلك لأن هذا اللفظ في إطلاق القرآن المراد به اليهود والنصارى كما قال ابن عاشور رحمه الله[٣]: ((اسم (أهل الكتاب) لقب في القرآن لليهود والنصارى الذين لم

---

(١) الواحدي، علي بن أحمد، (١٤١٥هـ)، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، جـ١، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، سوريا، دار القلم، ص٢٢٧.

(٢) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، **مرجع سابق**، ٢٠٥/٨.

(٣) خير الدين الزركلي، (١٩٨٠م)، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، جـ٦، ط ٥، بيروت، دار العلم للملايين، ص١٧٤.

يتديّنوا بالإسلام؛ لأن المراد بالكتاب التوراة والإنجيل إذا أضيف إليه (أهل)، فلا يطلق على المسلمين أهل الكتاب، وإن كان لهم كتاب، فمن صار مسلماً من اليهود والنصارى لا يوصف بأنه من أهل الكتاب في اصطلاح القرآن، ولذلك لما وصف عبد الله بن سلام ﷺ في القرآن وصف بقوله: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾[الرعد: ٤٣]، وقوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾[الأحقاف: ١٠]، فلمَّا كان المتحدث عنهم آنفاً صاروا مؤمنين بالنبي محمد ﷺ فقد انسلخ عنهم وصف أهل الكتاب، فبقي الوصف بذلك خاصاً باليهود والنصارى)).

٣-**قوله تعالى:** ﴿أُمَّةٌ﴾. اُخْتُلِف في المراد من هذه الأمة على قولين:

القول الأول: المراد من تقدم في سبب النزول الذي ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما(١).

القول الثاني: المراد من أسلم من أهل الكتاب عامة من اليهود والنصارى، وعَدَّ من الأمة المذكورة نحو النجاشي رحمه الله وأصحابه ممن أسلم من النصارى(٢).

الترجيح: مما سبق يظهر- والله أعلم - أن الأقرب للصواب هو القول الثاني؛ وذلك لأنَّ اللفظ عام فيشمل الجميع، ويدخل فيه بطريق الأولى من تقدم ذكرهم في سبب النزول. يؤيد ذلك القاعدة الترجيحية: (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)(٣).

---

(١) **نفس المرجع**، ص ٤١٩.

(٢) الألوسي، محمود بن عبد الله بن محمود، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، جـ٤، بيروت- لبنان: دار إحياء التراث العربي، ص٣٣.

(٣) الحربي، حسين بن علي بن حسين، قواعد الترجيح عند المفسرين، **مرجع سابق**، ٢/٥٤٥.

٤- **قوله تعالى: ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾**. أيّ: آيات القرآن(١).

ثانياً: قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

١- **قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾**. أيّ: الإيمان بجميع ما يجب الإيمان به على الوجه المقبول الذي نطق به الشرع، فهم يصدِّقون ويقرون بالله ﷻ، وبالنبي محمد ﷺ، وبما جاء به، وبالبعث بعد الممات، ويعلمون أنَّ الله ﷻ مجازيهم بأعمالهم(٢).

٢- **قوله تعالى: ﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾**. أيّ: يرغبون ويبتدرون في الاستكثار من فعل الطاعات، والخيرات، والأعمال الصالحة اللازمة والمتعدية، غير متثاقلين عن تأديتها؛ لمعرفتهم بقدر ثوابها، وخشية أن يفوتهم ذلك بالموت، وهم يفعلون ذلك لعلمهم بجلالة موقعها، وحسن عاقبتها، بلا تردد أو تقصير(٣).

٣- **قوله تعالى: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾**. جاء في المراد بالصالحين قولان:

---

(١) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، **جامع البيان في تأويل القرآن**، جـ٧، ط ٢، المحقق: أحمد محمد شاكر، القاهرة ، مكتبة ابن تيمية، ص١٢٥.

(٢) الشوكاني، محمد بن علي، (١٤٢٤هـ)، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، جـ١، ط ٣، الرياض، مكتبة الرشد، ص٣٣٥.

(٣) طنطاوي، محمد سيد، (١٩٩٧م)، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، جـ٢، القاهرة، دار نهضة مصر، ص٢٢٧.

القول الأول: أيّ: الموصوفون بما وصفوا به من جملة الصالحين الذين صلحت أحوالهم، وحسنت أعمالهم، فرضيهم ربهم، واستحقوا ثناءه عليهم[١].

القول الثاني: المراد بالصالحين المسلمين. وقد تعقب أبو حيان رحمه الله القول الثاني بأن فيه بُعْد وقال[٢]: "بل الظاهر أنَّ في الوصف بالصلاح زيادة على الوصف بالإسلام، ولذلك سأل هذه الرتبة بعض الأنبياء فقال تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾[النمل: ١٩]، وقال تعالى في حق إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[البقرة: ١٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٢].

الترجيح: مما سبق يظهر- والله أعلم- أن الأقرب للصواب هو القول الأول وهو أن المراد بـ ﴿الصَّالِحِينَ﴾ هو وصف الصلاح؛ لأنَّ هذا المعنى هو الظاهر من اللفظ، وكذلك كما قال أبو حيان رحمه الله أن الوصف بالصلاح زيادة على الوصف بالإسلام. ويؤيد هذا القاعدة الترجيحية: (لا يجوز العدول عن ظاهر[٣] القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه).

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾.

---

(١) الألوسي، محمود بن عبد الله بن محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، **مرجع سابق**، ٣٥/٤.

(٢) أبو حيان، البحر المحيط، **مرجع سابق**، ٣٩/٣.

(٣) محمد بن صالح العثيمين، (١٤١٤هـ)، **القواعد المثلى في شرح صفات الله وأسمائه الحسنى**، ط ٢، حققه وخرّج أحاديثه: أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، القاهرة، مكتبة السنة، ص ٤٥.

١- **قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ ﴾**. وما تفعل هذه الأمة من أي خير كائنًا ما كان مما ذكر أو لم يذكر، وتعمل من عملٍ لله ﷻ فيه رضى(١).

٢- **قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾**.

أولاً: المراد من الآية: أيّ: والله ﷻ ذو علم بمن اتقاه لطاعته واجتناب معاصيه، وهو سبحانه عليم بثوابهم، وبأحوالهم، لا يخفى عليه عمل عامل، ولا يضيع لديه أجر من أحسن عملًا، فيجازيهم على تقواهم بحسب ما يعلم من أحوالهم، وما تنطوى عليه سرائرهم، فمن كان إيمانه صحيحًا واتقى الله ﷻ فاز بالسعادة (٢).

ثانياً: المراد بالمتقين: أُخْتُلِف في المراد بالمتقين على قولين:

القول الأول: المراد بالمتقين خاص بالأمة المخاطبين في الآيات المتقدمة(٣).

القول الثاني: المراد عام بجنس المتقين، أيّ: كل من ثبتت له صفة التقوى(٤).

الترجيح: مما سبق يظهر- والله أعلم - أن الأقرب للصواب هو القول الثاني؛ وذلك لأنَّ اللفظ عام فيشمل الجميع، ويندرج تحت حكمه اندارجًا أوليًا الأمة المخاطبين

---

(١) أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، جـ٢، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ص٧٤.

(٢) السمرقندي، نصر بن محمد بن إبراهيم، بحر العلوم، **مرجع سابق**، ٢٩٣/١.

(٣) الألوسي، محمود بن عبد الله بن محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، **مرجع سابق**، ٣٥/٤.

(٤) أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، **مرجع سابق**، ٧٤/٢.

فـي الآيـات المتقدمـة. يؤيـد ذلـك القاعـدة الترجيحيـة: (العبـرة بعمـوم اللفـظ لا بخصوص السبب)[١].

المطلب الرابع: الاستنباطات.

أولاً: قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾.

أ- في قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ﴾ من الاستنباطات ما يأتي:

١- قال الله تعالى ﴿لَيْسُوا سَوَآءً ۗ﴾ لأنَّ فيه ذكر الفريقين من أهل الكتاب اللذين ذكرهما الله في قوله: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[آل عمران: ١١٠].

٢- قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً ۗ﴾ تأكيداً لقوله: ﴿ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[آل عمران: ١١٠].

٣- في قوله تعالى: ﴿أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ﴾ الثناء على القيام بطاعة الله ﷻ، والثبات عليها[٢].

ب- في قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ من الاستنباطات ما يأتي:

---

(١) الحربي، حسين بن علي بن حسين، قواعد الترجيح عند المفسرين، **مرجع سابق**، ٢/٥٤٥.

(٢) جابر بن موسى أبو بكر الجزائري، (١٤٢٤هـ)، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، جـ١، ط٥، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ص٣٦٣.

١- عبَّر ﷻ عن تهجدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع السجود؛ لأنَّه أَبْيَن لِما يفعلون، وأدل على حسن صورة أمرهم، وهذا الأسلوب أبلغ وأبين من أن يقال: يتهجّدون لأنّه يدلّ على صورة فعلهم(١).

٢- التصريح بتلاوتهم آيات الله ﷻ في الصلاة مع أنها مشتملة عليها قطعاً؛ لزيادة تحقيق المخالفة، وتوضيح عدم المساواة بينهم وبين الذين وصفوا آنفا بالكفر بها، وهو السر في تقديم هذا النعت على نعت الإيمان(٢).

٣- فضل تلاوة القرآن الكريم في صلاة الليل (٣).

٤- الترغيب في قيام الليل(٤).

٥- المراد بصلاتهم التهجد إذ هو أدخل في مدحهم، وفيه يتسنى لهم التلاوة فإنها في المكتوبة وظيفة الإمام واعتبار حالهم عند الصلاة على الانفراد يأباه مقام المدح وهو الأنسب بالعدول عن إيرادها باسم الجنس المتبادر منه الصلاة المكتوبة وبالتعبير عن وقتها بالآناء المبهمة(٥).

ثانياً: قوله تعالى: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾.

---

(١) البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٣٤/٢.

(٢) أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، **مرجع سابق**، ٧٣/٢.

(٣) جابر بن موسى أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، **مرجع سابق**، ٣٦٣/١.

(٤) أبو حيان، البحر المحيط، **مرجع سابق**، ٣٨/٣.

(٥) إسماعيل حقي بن مصطفى الخلوتي، (١٣٣٠هـ)، **روح البيان**، جـ٢، استنابول – تركيا، مطبعة عثمانية، ص٨١.

أ- في قوله تعالى: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ من الاستنباطات ما يأتي:

١- في قوله تعالى: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ كُرِرَ الاسم الأعظم بعد قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ إشارة إلى استحضارهم لعظمته ﷻ[١].

٢- في قوله تعالى: ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ أُتْبِع الإيمان بالله ﷻ بالإيمان باليوم الآخر من بين سائر الأركان لأنّ فيه ظهور آثار عبادة الله ﷻ من الجزاء الجزيل، ولأنَّه اليوم الذي تظهر فيه عظمة الله ﷻ كلها، ولأنَّه الحامل على كل خير، ومن ثمرات الإيمان به الخشية والخضوع والاستعداد لذلك اليوم [٢].

٣- في الآية ثناء على من آمن بالله ﷻ واليوم الآخر[٣].

٤- في الإيمان باليوم الآخر إيمان بالأنبياء؛ لأنه من جائزات العقل التي أثبتها السمع من الأنبياء[٤].

ب- في قوله تعالى: ﴿ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ من الاستنباطات ما يأتي:

١- في الآية إشارة إلى وفور نصيب من آمن من أهل الكتاب من فضيلة تكميل الغير إثر الإشارة إلى وفوره من فضيلة تكميل النفس؛ فمن كمال تمام الإنسان

(١) البقاعي، إبراهيم بن عمر، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، **مرجع سابق**، ٣٢/٥.
(٢) المَرَاغيّ، أحمد مُصطفى، ١٣٦٥هـ، تفسير المَرَاغي، **مرجع سابق**، ٣٦/٤.
(٣) محمد بن صالح العثيمين، القواعد المثلى في شرح صفات الله وأسمائه الحسنى، **مرجع سابق**، ٨٢/٢.
(٤) ابن عرفة، محمد بن محمد بن محمد الورغمي (٢٠٠٨م)، **تفسير ابن عرفة**، جـ١، المحقق: جلال الأسيوطي، لبنان، دار الكتب العلمية، ص٤٠٠.

أن يسعى في تكميل الناقصين وذلك بطريقين إما بإرشادهم إلى ما ينبغي وهو الأمر بالمعروف، أو يمنعهم عما لا ينبغي وهو النهي عن المنكر، وفيه تعريض باليهود المداهنين في الحق الصادين عن سبيل الله ﷻ بل بتعكيسهم في الأمر بإضلال الناس وصدهم عن سبيل الله ﷻ؛ فإنه أمر بالمنكر، ونهي عن المعروف(١).

٢- ابتدأ الله ﷻ في وصفهم بالأمر بالمعروف، لأنَّه الأهم في صفات المدح، ولأنَّه أخف من النهي عن المنكر فيكون ترقيًا في وصفهم(٢).

ج- في قوله تعالى: ﴿ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ من الاستنباطات ما يأتي:

١- عبَّر الله ﷻ بالسرعة ولم يعبَّر بالعجلة؛ لأنَّ السرعة مخصوصة بأن يقدم ما ينبغي تقديمه وهي محمودة، وضدها الإبطاء وهو مذموم، والعجلة مخصوصة بأن يقدم ما لا ينبغي تقديمه وهي مذمومة، وضدها الأناة وهي محمودة، فالمسارعة مخصوصة بفرط الرغبة فيما يتعلق بالدين والخير، لأن من رغب في الأمر بادر إليه، وسارع في توليه، والقيام به، وآثر الفور على التراخي(٣)، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[آل عمران: ١٣٣]، والعجلة أيضاً ليست مذمومة على الإطلاق؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾[طه: ٨٤](٤).

(١) الإيجي الشيرازي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد، (١٤٢٤هـ)، جامع البيان في تفسير القرآن، جـ١، تحقيق: عبد الحميد هنداوي. بيروت، دار الكتب العلمية، ص٢٨٥.

(٢) ابن عرفة، محمد بن محمد بن محمد الورغمي، تفسير ابن عرفة، **مرجع سابق**، ٤٠٠/١.

(٣) الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم، (١٣٩٩هـ)، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، جـ١، بيروت، دار الفكر، ص٤٠٧.

(٤) المَرَاغيّ، أحمد مُصطفى، تفسير المَرَاغي، **مرجع سابق**، ٣٧/٤.

٢- في وصف الله ﷻ للأمة بأنهم يسارعون في الخيرات هذه صفة جامعة لفنون الفضائل والفواضل، وهي صفة تشمل أفعالهم المختصة بهم، والأفعال المتعدية منهم إلى غيرهم، وفي ذكرها تعريض بتباطؤ اليهود وتثاقلهم عن الخيرات، وكونهم غير راغبين فيها، بل بمبادرتهم إلى الشرور[١].

٣- يدخل في ضمن قوله تعالى: ﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ أن يكون المرء مغتنمًا للخمس؛ كما قال النبي ﷺ: "اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ"، فيكون متى أراد أن يصنع خيراً بادر إليه؛ ولم يسوف نفسه بالأمل فهذه أيضاً مسارعة في الخيرات[٢].

د- في قوله تعالى: ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ من الاستنباطات ما يأتي:

١- إن الوصف بالصلاح[٣] غاية المدح ويدل عليه القرآن والمعقول:

أما القرآن: فهو أن الله تعالى مدح بهذا الوصف أكابر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقال بعد ذكر إسماعيل وإدريس وذي الكفل وغيرهم عليهم السلام: ﴿ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ

(١) محمود بن عمر الزمخشري، **الفائق في غريب الحديث**، جـ٣، ط٢، تحقيق: علي البجاوي، محمد أبو الفضل، (بيروت – لبنان: دار المعرفة)، ص٦١٢.

(٢) محمد بن عبد الله الحاكم، المستدرك على الصحيحين، (وبذيله التلخيص للذهبي)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية،١٤١١هـ.

(٣) قال الشيخ العثيمين رحمه الله: "والصالح من قام بحق الله وحق العباد؛ وضده الفاسد؛ والصلاح يدور على شيئين: علم وعمل؛ وضده الجهل والكفر والتمرد؛ فمن كان جاهلا فإنه ليس بصالح؛ والمراد ليس بصالح الصلاح الذي يكون في قمة الصلاح، وإلا فإن معه من الصلاح بمقدار ما عنده من العلم؛ ومن لم يكن عاملا فليس بصالح وعنده من فَقْد الصلاح بقدر ما فَقَدَ من العمل". **مرجع سابق**، ٢/٨٠.

﴿فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٦]، وذكر حكاية عن سليمان ﷺ أنه قال: ﴿وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[النمل: ١٩] وقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[التحريم: ٤].

وأما المعقول: فهو أن الصلاح ضد الفساد، وكل ما لا ينبغي أن يكون فهو فساد سواء كان ذلك في العقائد، أو في الأعمال، فإذا كان كل ما حصل من باب ما ينبغي أن يكون فقد حصل الصلاح، فكان الصلاح دالًا على أكمل الدرجات، وأكمل المقامات(١).

في الآيتين الأولى والثانية بتمامهما من الاستنباطات ما يأتي:

١- إن كمال الإنسان أن يعرف الحق لذاته، والخير لأجل العمل به، وأفضل الأعمال الصلاة، وأفضل الأذكار ذكر الله ﷻ، وأفضل المعارف معرفة المبدأ والمعاد، فقوله: ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ إشارة إلى الأعمال الصالحة الصادرة عنهم، وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ إشارة إلى فضل المعارف الحاصلة في قلوبهم؛ فكان هذا إشارة إلى كمال حالهم في القوة العملية وفي القوة النظرية وذلك أكمل أحوال الإنسان(٢).

٢- وصف الله ﷻ الذين آمنوا من أهل الكتاب بما وصف به المؤمنين في الآيات السابقة في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[آل عمران: ١١٠] من الإيمان بالله ﷻ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وذلك لأنهم آمنوا بالله ورسوله ﷺ،

(١) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، **مرجع سابق**، ٢٠٨/٨.
(٢) النيسابوري، الحسن بن محمد بن حسين القمي، (١٤١٦هـ)، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، جـ٢، المحقق: زكريا عميران، لبنان، دار الكتب العلمية، ص٢٤٠.

وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر ولأنهم امتازوا عن الذين كفروا من أهل الكتاب، وانخرطوا في زمرة المؤمنين[١]، وفي وصفهم بذلك تحقيق لسمة الأمة المسلمة التي انضموا إليها[٢].

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾.

أ- في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ﴾ من الاستنباطات ما يأتي:

١- إن من فعل خيراً أثيب عليه؛ لأن المراد بالنفي هنا تمام الإثبات، أيّ: إنهم يُعطون أجرهم كاملاً بلا نقص[٣].

٢- ثبوت الثواب على عمل الخير قليلاً كان أو كثيرًا؛ لقوله: ﴿ مِنْ خَيْرٍ ﴾ وهي في سياق الشرط فتكون عامة [٤].

٣- أجملت هذه الآية حسن ثواب الصالحين في الدنيا والآخرة[٥].

ب- في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾ من الاستنباطات ما يأتي:

---

(١) الطيبي، الحسين بن عبد الله، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب سورة آل عمران، **رسالة ماجستير**، ١٤١٦هـ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، دراسة وتحقيق: حسن بن أحمد بلغيث العمري، ٢٢١/٣.

(٢) أحمد بن علي الرازي الجصاص، (١٤١٢هـ)، **أحكام القرآن**، جـ٢، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ص٣٢٢.

(٣) محمد بن صالح العثيمين، القواعد المثلى في شرح صفات الله وأسمائه الحسنى، **مرجع سابق**،٨٥/٢.

(٤) أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى، **زهرة التفاسير**، جـ٣، دار الفكر العربي، ص١٣٧٠.

(٥) سبحاني، محمد عناية الله أسد، (١٤١٤هـ)، **البرهان في نظام القرآن**، دار الكتب، ص٤٧٦.

١- قال تعالى في تذييل الآية: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ وذلك لأنه لما كانت الآية واردة فيمن اتصف بالأوصاف الجميلة، وأخبر تعالى أنه يثيب على فعل الخير ناسب ختم الآية بذكر علمه بالمتقين، وإن كان عالمًا بالمتقين وبضدهم(١).

٢- قال الله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ مع أنه عالم بالكل؛ بشارةً للمتقين بجزيل الثواب، ودلالةً على أنه لا يفوز عنده إلا أهل التقوى، وإشعارًا بأن التقوى مبدأ الخير وحسن العمل، ومن أجل الحث على التقوى، والحذر من مخالفتها، وعدم القيام بها(٢).

٣- في الآية وعد للمتقين، ووعيد للمفرطين(٣).

٤- لم يقل ﷻ عليم بهم؛ إشعاراً بأنهم موصوفون بالتقوى أيضاً(٤).

٥- الثناء على أهل التقوى(٥).

المبحث الثالث: التفسير الجُمَلِي.

من عدل الله ﷻ الشامل أن يُظْهر الأخيار ويتولاهم برعايته وتأييده، ويظهر ذلك في هذه الآيات فإنه لما بيّن الله تعالى في الآيات السابقة الفرقة الفاسقة من أهل

(١) أبو حيان، البحر المحيط، **مرجع سابق**، ٣٩/٣.

(٢) محمد بن صالح العثيمين، القواعد المثلى في شرح صفات الله وأسمائه الحسنى، **مرجع سابق**، ٨١/٢.

(٣) أبو حيان، البحر المحيط، **مرجع سابق**، ٣٩/٣.

(٤) الإيجي الشيرازي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد، جامع البيان في تفسير القرآن، **مرجع سابق**، ٢٨٥/١.

(٥) محمد بن صالح العثيمين، القواعد المثلى في شرح صفات الله وأسمائه الحسنى، **مرجع سابق**، ٨٥/٢.

الكتاب وبيّن أفعالهم وعقوباتهم بيّن ها هنا الأمة المستقيمة، وبّين أفعالها وثوابها، فأخبر أنهم لا يستوون عنده، بل فيهم من هو متصف بحميد الخِلال، وجميل الصفات، وبينهم من الفَرْق ما لا يمكن وصفه، فليسوا على طريقة واحدة، ومستوى واحد، ولا متساوون في العقيدة والأفعال، فأما تلك الطائفة الفاسقة فقد مضى وصفهم، وأما هؤلاء المؤمنون فقد آمنوا بنبيهم، وأدركوا النبي محمد -ﷺ- وآمنوا به، ومن صفاتهم أنهم أمة مستقيمة على دين الله ﷻ، ثابتة على الحق، لا تخالف أمر الدين، ويتلون القرآن في ساعات الليل، مصلين خاضعين لله ﷻ، وفي ذكر السجود ثناء عليهم؛ إذ هو أعظم مظاهر الخضوع لله تعالى.

وهم يؤمنون بالله ﷻ إيمانًا صادقًا فيوحدونه بالعبودية، ويفردونه بالألوهية، ويؤمنون باليوم الآخر إيمانًا حقيقيًا يحثهم على ما يقربهم إلى الله ﷻ، ويُثَّابون عليه، وترك كل ما يعاقبون عليه. وهم في مجال الأخلاق، والعمل الاجتماعي يأمرون بالفضيلة والمعروف، وينهون عن الرذيلة والمنكر، فحصل منهم تكميل أنفسهم بالإيمان ولوازمه، وتكميل غيرهم بأمرهم بكل خير، ونهيهم عن كل شر، وهم ذو همم عالية فهم يسارعون في الخيرات، ويبادرون إليها، فينتهزون الفرصة فيها، ويفعلونها في أول وقت إمكانها، غير متثاقلين فيها؛ وذلك من شدة رغبتهم في الخير، ومعرفتهم بفوائده، وحسن عوائده ، والخيرات تشمل كل قول وعمل صالح من سائر القُرُبَات، وهؤلاء الذين وصفهم الله ﷻ بهذه الصفات الحميدة والأفعال الجليلة من الصالحين الذين صَلُحت أحوالهم، وارتفعت درجاتهم، فهم بإسلامهم خِيار لا أشرار كما زعم اليهود، وأتقياء لا فجار، وعقلاء إذ اختاروا الإيمان، وتركوا الضلال، وهم مهما فعلوا من خير قليلًا كان أو كثيرًا فلن يُعْدَمُوا ثوابه ولن يُحْرَمُوه، ولن يُجْحَدُوه، ويُفَوتُوا أجره، بل يُجْزَون عليه، وهو محسوبٌ ومدخر لهم، ويثيبهم الله ﷻ على ذلك أكمل ثواب، ولكنّ الأعمال ثوابها تبع لما يقوم بقلب صاحبها من الإيمان والتقوى، ولذلك ختم

سبحانه بالإخبار عن علمه بالمتقين، وذلك لأن مدار الأعمال على تقوى الله ﷻ كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ** ﴾[المائدة: ٢٧]، وتلك بشارة لهم بالقبول وحسن الثواب(١).

(١) المحلي، جلال الدين محمد، والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **تفسير الجلالين**، القاهرة، دار الحديث، ص٧٩.

الفصل الثاني: جزاء الكفار ومصير نفقاتهم يوم القيامة.

المبحث الأول: التفسير بالرواية.

المطلب الأول: سبب النزول.

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾. اختلفوا في سبب نزولها على خمسة أقوال:

القول الأول: نزلت في نفقات الكفار، وصدقاتهم. قاله مجاهد رحمه الله[١].

القول الثاني: في نفقة سفلة اليهود على علمائهم. قاله مقاتل بن سليمان رحمه الله[٢].

القول الثالث: أنها نزلت في أبي سفيان، وأصحابه يوم بَدْر وأُحُد في عدواة رسول الله ﷺ. قاله يمان بن المغيرة رحمه الله[٣].

القول الرابع: أنها نزلت في نفقة المنافقين مع المؤمنين في حرب المشركين على جهة النفاق[٤] .

القول الخامس: أنها نزلت في مشركي قريش. فإن أبا جهل كان كثير الافتخار بماله[٥].

---

(١) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، العجاب في بيان الأسباب، **مرجع سابق**، ٧٣٩/١.

(٢) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، (١٤٠٤هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، جـ١، ط ٣، بيروت، المكتب الإسلامي، ص٤٤٥.

(٣) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، العجاب في بيان الأسباب، **مرجع سابق**، ٧٣٩/١.

(٤) علي بن محمد بن حبيب الماوردي، النكت والعيون، **مرجع سابق**، ٤١٨/١.

(٥) محمد بن حبيب البغدادي، **الْمُنَمَّقُ فِيْ أَخْبَارِ قُرَيْش**، المحقق: خورشيد أحمد فاروق، بيروت، عالم الكتب، ص ١٩، ٢٦.

الترجيح: بالنظر في الأقوال السابقة في سببِ نزول الآية، يظهر- والله أعلم- أنها تُعَدُّ جميعها من باب تفسير الآية، وبيان مَعناها. أما القول الأول والثالث فلم يُصرّح فيهما بسبب النزول. والقول الثاني لم يُذكر فيه أيّ صيغة لسبب النزول. والقول الرابع والخامس لا يصحّ سببًا للنزول، حيث لم يُنسب لأحدٍ من الرّواة، وكذلك لم يُصرّح فيه بسبب النزول. ويؤيد هذا القاعدة التفسيريّة: (إذا تعدّدت المَرويّات في سبب النّزول، نُظر إلى الثّبوت فاقتُصِرَ على الصّحيح، ثمّ العِبارة، فاقتُصِرَ على الصّريح)[1].

المطلب الثاني: تفسير القرآن بالقرآن.

أولاً: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

أ- من متشابه هذه الآية[2]:

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٠].

٢- قوله تعالى في سياق الحديث عن المنافقين: ﴿لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المجادلة: ١٧].

ب- من أمثلة هذه الآية في المعنى[3]:

(١) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، العجاب في بيان الأسباب، **مرجع سابق**، ٦٩/١.
(٢) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، **مرجع سابق**، ٢١١/٨.
(٣) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، **مرجع سابق**، ٢١١/٨.

١- قوله تعالى: ﴿ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ ﴾ [آل عمران: ٩١].

٢- قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[الشعراء: ٨٨، ٨٩].

ج- ذكر الله ﷻ في هذه الآية الكريمة أن الكفار يوم القيامة لا تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم شيئًا، ولم يُبَيّن هنا هل نفيه لذلك تكذيب لدعواهم أن أموالهم وأولادهم تنفعهم؟ وبيّن في مواضع أُخرى أنهم ادّعوا ذلك ظناً منهم أن الله ﷻ ما أعطاهم الأموال والأولاد في الدنيا إلا لكرامتهم عليه، واستحقاقهم لذلك، وأن الآخرة كالدنيا يستحقون فيها ذلك أيضًا فكذَّبهم في آيات كثيرة، ومن الآيات الدالة على أنهم ادعوا ذلك [(١)]:

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾[سبأ: ٣٥].

قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ [مريم: ٧٧].

ثانياً: قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾.

أ- **مثال هذه الآية في المعنى** قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ﴾ [(٢)].

ب- **قوله تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾.**

---

(١) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، جـ١، دار عالم الفوائد، ص٣٢٤.

(٢) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، **مرجع سابق**، ٢١٣/٨.

من الآيات المشابهة لهذه الآية[١].

١- قوله تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾[البقرة: ٥٧].

٢- قوله تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾[الأعراف: ١٦٠].

المطلب الثالث

التفسير الأثري الوارد عن النبي ﷺ والصحابة ﷺ والتابعين رحمهم الله.

أولاً: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾. اختلف الصحابة ﷺ والسلف الصالح رحمهم الله في المُراد بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ على قولين:

القول الأول: قال الضحاك رحمه الله: "يعني: اليهود، والنصارى، وجميع الكفار، وكل من خالف دين الإسلام"، ووافقه جمعٌ من المفسرين[٢].

القول الثاني: المراد منه: بعض الكفار، وفيه ثلاثة آراء:

الأول: خصّ ابن عباس رضي الله عنهما بذلك قبائل من اليهود، وهما قُرَيْظَة[٣] والنَضِير.

---

(١) محمد بن عبد الله الصغيّر: دليل المتشابهات اللفظية في القرآن الكريم، **مرجع سابق**، ص:٢٨.
(٢) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، ١٣٣/٧.
(٣) أحمد يحي البلاذري، **أنساب الأشراف**، جـ١، تحقيق: محمد حميد الله، مصر، دار المعارف، ص٣٤٧.

الثاني: كفار أهل الكتاب. قال به مقاتل بن سليمان رحمه الله[١] .

الثالث: المقصود بهم: الكفار. قال به مجاهد والكلبي رحمهما الله[٢]، ولم يُدخلا اليهود والنصارى.

الترجيح: بناء على ما سبق يظهر والله أعلم أن الأقرب للصواب هو القول الأول وهو أن المراد بـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ جميع الكفار. **وذلك لما يأتي:**

١- لأن اللفظ عام، ولا دليل يوجب التخصيص بفريق من الكافرين دون فريق؛ فوجب إجراؤه على عمومه. يؤيد ذلك القاعدة الترجيحية: (يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نصّ بالتخصيص) [٣].

٢- لأن هذا القول تدخل في ضمنه الأقوال الأخرى. وقد رجَّح الشوكاني رحمه الله [٤] هذا القول بقوله: ((والظاهر أن المراد بذلك: كل من كفر بما يجب الإيمان به)).

ثانياً: قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾.

---

(١) الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، **مرجع سابق**، ٣٣٥/١.

(٢) عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد، **الكامل في ضعفاء الرجال**، (١٤٠٩هـ)، جـ٦، تحقيق يحيى مختار غزاوي، بيروت، دار الفكر، ص١١٤-١١٩.

(٣) الحربي، حسين بن علي بن حسين، قواعد الترجيح عند المفسرين، **مرجع سابق**، ٥٢٧/٢.

(٤) الشوكاني، محمد بن علي (١٤١٨هـ)، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، جـ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ص٣٢٧.

١- **قولـه تعالى: ﴿مَثَلُ مَايُنفِقُونَ﴾**. اختلف السلف الصالح رحمهم الله في المراد بالمنْفِقِين، والنفقة، في هذه الآية على قولين:

القول الأول: المراد بالمنْفِقِين: جميع الكفار، وبالنفقة: جميع نفقات الكفّار في الدنيا، وصدقاتهم. قال الفخر الرازي رحمه الله معلقًا على هذا القول(١): "وذلك لأنَّ إنفاقهم إما أن يكون لمنافع الدنيا، أو لمنافع الآخرة، فإن كان لمنافع الدنيا لم يبق منه أثر البتة في الآخرة، وإن كان لمنافع الآخرة لم ينتفع به في الآخرة؛ لأن الكفر مانع من الانتفاع به، فثبت أن جميع نفقات الكفار لا فائدة فيها في الآخرة، ولعلّهم أنفقوا أموالهم في الخيرات، وكان ذلك المنفق يرجو من ذلك الإنفاق خيراً كثيراً فإذا قدم الآخرة رأى كفره مبطلاً لآثار الخيرات، فكان كمن زرع زرعاً وتوقع منه نفعاً كثيراً فأصابته ريح فأحرقته فلا يبقى معه إلا الحزن والأسف هذا إذا أنفقوا الأموال في وجوه الخيرات أما إذا أنفقوها فيما ظنوه أنه الخيرات لكنه كان من المعاصي مثل إنفاق الأموال في إيذاء الرسول ﷺ وفي قتل المسلمين وتخريب ديارهم، فالذي قلناه فيه أشد وأشد".

القول الثاني: المراد بالمنْفِقِين: الإخبار عن بعض الكفار، وفيه ثلاثة آراء:

الأول: قال السُدِّي رحمه الله(٢): "المراد بالمنْفِقِين: المنافق، والنفقة قوله الذي يقوله بلسانه، مما لا يصدِّقه بقلبه".

(١) النيسابوري، الحسن بن محمد بن حسين القمي، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، **مرجع سابق**، ٢٤٢/٢.

(٢) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، ١٣٥/٧.

الثاني: قال مقاتل بن سليمان رحمه الله: "يعني نفقة سفلة اليهود على علمائهم، ورؤسائهم، يريدون بها الآخرة"(١).

الثالث: قال يمان بن المغيرة رحمه الله: "يعني نفقات أبي سفيان، وأصحابه ببدر وأحد على عداوة الرسول ﷺ"(٢).

الترجيح: بناء على ما سبق يظهر – والله أعلم– أن الأقرب للصواب هو القول الأول وهو أن المراد بالمنْفِقِين: جميع الكفار، وبالنفقة: جميع نفقات الكفّار في الدنيا، وصدقاتهم. وذلك لأنَّ اللفظ عام، ولا دليل يوجب التخصيص بفريق من الكافرين دون فريق؛ وكذلك لفظ النفقة فوجب إجراؤه على عمومه(٣). ويؤيد ذلك القاعدة الترجيحية: "يجب حمل نصوص الوحي على العموم، ما لم يرد نصّ بالتخصيص"(٤). وقد رجّح الفخر الرازي رحمه الله هذا القول بقوله(٥): "وهذا القول هو الأقوى، والأصح". وقال النيسابوري رحمه الله(٦): "والظاهر أن الضمير في ﴿ يُنفِقُونَ ﴾عائد إلى جميع الكفار".

٢- **قوله تعالى:** ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾. اختلف الصحابة ﷺ والسلف الصالح رحمهم الله في معنى (الصِرّ) على ثلاثة أقوال:

---

(١) الأزدي، مقاتل بن سليمان، (١٤٢٤هـ)، **تفسير مقاتل بن سليمان**، جـ١، تحقيق: أحمد فريد، بيروت، دار الكتب العلمية، ص١٨٨.

(٢) الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، الكشف والبيان في تفسير القرآن، **مرجع سابق**، ١٣٣/٣.

(٣) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، **مرجع سابق**، ٢١٠/٨.

(٤)الحربي، حسين بن علي بن حسين، قواعد الترجيح عند المفسرين، **مرجع سابق**، ٥٢٧/٢.

(٥) **نفس المرجع**، ٢١٣/٨.

(٦) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (١٣٩٩هـ)، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، جـ١، ط ٢، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ص٥٢٥.

القول الأول: الصِرّ: هو البرد الشديد. قال بذلك ابن عباس رضي الله عنهما في إحدى الروايات عنه وسعيد بن جبير، وعكرمة، والضحاك والحسن، وقتادة، وشرحبيل بن سعد، والسُدِّي، وعطاء الخراساني وزاد: فيها جليد، والربيع بن أنس، وابن جريج، ومقاتل بن سليمان، وسفيان الثوري وعبد الرحمن بن زيد رحمهم الله، ووافقهم على ذلك أكثر المفسرين(١)، وكثير من أهل اللغة.

القول الثاني: قوله: ﴿ رِيحٌ فِيهَا صِرٌّ ﴾. أيّ: فيها نار، وهي الريح السموم الحارة. قال به ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد رحمه الله في إحدى الروايات عنهما(٢).

القول الثالث: صوت النار التي في الريح. قال به عبد الرحمن بن كيسان رحمه الله، وإنما وصفت النار بأنها صِرّ لتصويتها عند الالتهاب، ووافقه على ذلك بعض أهل اللغة(٣).

الترجيح: بناء على ما سبق يظهر – والله أعلم – أن الأقرب للصواب هو القول الأول وهو أن المراد بالصَّر هو البرد الشديد وذلك لما يأتي:

١- لأنَّ الشائع في اللغة إطلاق الصِرّ على البرد الشديد – كما سيأتي بيانه – قال البيضاوي رحمه الله(٤): "والشائع إطلاقه للريح الباردة كالصرّ".

٢- القولان الآخران يرْجِعَان إلى هذا القول، وذلك لأنَّ البرد الشديد فيه ناريّة تحرق نحواً مما تحرق النار، وفيه صوت شديد.

---

(١) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، ١٣٤/٧.

(٢) الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، ١٦٣/٣.

(٣) الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، (١٤٠٨هـ)، **معاني القرآن وإعرابه**، جـ١، شرح وتحقيق: عبد العزيز عبده شلبي، بيروت، دار عالم الكتب، ص٤٦١.

(٤) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، (١٤٢٠هـ)، **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث، ص٢٠٦.

٣- قال ابن القيم رحمه الله[١]: "والأقوال الثلاثة متلازمة؛ فهو برد شديد محرق، يبسه للحرث كما تحرقه النار، وفيه صوت شديد".

٣- **قوله تعالى: ﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾**. قال الحسن رحمه الله: "أيّ: فحلقته، وأحرقته" ووافقه بعض المفسرين. وقال بعض المفسرين رحمهم الله: أفسدته، فلم ينتفعوا منه بشيء[٢].

٤- **قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾**. قال ابن عباس رضي الله عنهما: "أيّ: ما نقصهم ذلك بغير جرم أصابوه، وإنما أنزل بهم ذلك لظلمهم أنفسهم بمنع حق الله منه وهذا مثل ضربه الله لإبطال أعمالهم في الآخرة"[٣].

٥- **قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾**. قال ابن عباس رضي الله عنهما: أيّ: "يضُرُّون".

---

(١) عبد الحيّ بن أحمد بن محمد العكري (١٤١٣هـ)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، جـ ٨، حققه: محمود الأرناؤوط، دمشق، دار ابن كثير، ص ٢٨٧- ٢٩١.

(٢) الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، **مرجع سابق**، ٣٣٥/١.

(٣) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، **مرجع سابق**، ٤٤٥/١.

المبحث الثاني: التفسير بالدراية.

المطلب الأول: التناسب بين الآيات والسور.

١- **مناسبة قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ مع ما قبلها:

عقّب الله ﷻ تعالى ذكر الصنف الصالح بذكر حال الكفار؛ ليبيَّن الفرق بين الأضداد، وجامعًا بذلك بين الزجر، والترغيب، والوعد، والوعيد، فلما وصف من آمن من الكفار بما تقدم من الصفات الحسنة أتبعه تعالى بوعيد الكفار، وتيئيستهم، وبيان سوء عاقبتهم(١).

٢- **مناسبة قوله تعالى:** ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١١٧﴾ مع ما قبلها:

المناسبة الأولى: في هذه الآية بيان لكيفية عدم إغناء أموالهم التي كانوا يعولون عليها في جلب المنافع، ودفع المضار، فلما بيّن أن أموال الكفار لا تغني عنهم شيئاً، ثم إنهم ربما أنفقوا أموالهم في وجوه الخيرات، فيخطر ببال الإنسان أنهم ينتفعون بذلك، فأزال الله تعالى بهذه الآية تلك الشبهة، وبيّن أنهم لا ينتفعون بتلك الإنفاقات، وإن كانوا قد قصدوا بها وجه الله ﷻ، وضرب لها مثلًا بذهابها هباءً منثوراً(٢).

---

(١) ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، ٤٩٤/١.

(٢) ابن عرفة، محمد بن محمد بن محمد الورغمي، تفسير ابن عرفة، **مرجع سابق**، ٤٠٠/١.

المناسبة الثانية: لمّا ذكر تعالى أنَّ ما فعله المؤمنون من الخير فإنهم لا يحرمون ثوابه بل يجنون في الآخرة ثمرة ما غرسوه في الدنيا أخذ في بيان نفقة الكافرين، فضرب لها مثلاً اقتضى بطلانها وذهابها مجاناً بغير عوض(١).

المطلب الثاني: المقاصد:

١- المقصود من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

بيان أن كمال العذاب هو أن يزول عن المرء كل ما كان منتفعًا به، وأن أمواله وأولاده لا تدفع عنه شيئًا، ويجتمع عليه جميع الأسباب المؤلمة(٢).

٢- المقصود من قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١١٧﴾.

المقصود من ضرب المثل تشبيه ما ينفقون بشيء يذهب بالكلية ولا يبقى منه شيء؛ فالحاصل أن كفرهم يبطل ثواب نفقتهم، كما أنَّ الريح الباردة تهلك الزرع(٣).

المطلب الثالث: أقوال المفسرين بالدراية.

أولاً: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

---

(١) أبو حيان، البحر المحيط، **مرجع سابق**، ٣/٤٠.

(٢) النيسابوري، الحسن بن محمد بن حسين القمي، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، **مرجع سابق**، ٢/١١٢.

(٣) ابن عادل، عمر بن علي، اللباب في علوم الكتاب، جـ٥، **مرجع سابق**، ص٤٨٣.

الذين جحدوا نبوة النبي محمد ﷺ، وكذبوا به، وبما جاءهم به من عند الله ﷻ وبما يجب أن يؤمن به[١].

٢- **قوله تعالى: ﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ﴾.**

أ- لن تدفع[٢].

ب- لن تجزي ولن تنفع[٣].

ج- لن تمنع[٤].

الترجيح: مما سبق يظهر - والله أعلم- أن العبارات السابقة متقاربة في تفسير قوله تعالى: ﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ﴾ وهذا الاختلاف في العبارات من قبيل اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد، فلا تعارض بينها، وهي معانٍ متقاربة، ومجموع هذه الأقوال هو تفسير للآية. ويؤيد هذا القاعدة التفسيرية: "عامة ألفاظ القرآن تدل على معنيين فأكثر"[٥]. وقاعدة: "الكلمة إذا احتملت وجوهًا لم يكن لأحد صرف معناها إلى بعض وجوهها دون بعض إلا بحجة"[٦].

٣- **قوله تعالى: ﴿أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾.**

---

(١) أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، **مرجع سابق**، ٧٥/٢.

(٢) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، ١٣٣/٧.

(٣) الألوسي، محمود بن عبد الله بن محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، **مرجع سابق**، ٣٥/٤.

(٤) أبو حيان، البحر المحيط، **مرجع سابق**، ٤٠٤/٢.

(٥) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، ٧٩٤/٢.

(٦) أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، **مرجع سابق**، ٧٩٥/٢.

انعدام فائدة أموالهم التي جمعوها في الدنيا والتي عولوا عليها في المهمات بالفدية يوم القيامة لو افتدوا بها، ولا من هو أرجى من ذلك وأعظم عندهم وهم أولادهم الذين ربُّوهم بدفع شيئًا من بأس الله ﷻ وعذابه وعقوبته يوم القيامة إن أخرها لهم إلى يومها ولا في الدنيا إنْ عجَّلها لهم فيها[١].

٤- قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

أنهم هم أهل النار الملازمون لها، والمصاحبون لها على الدوام، صحبة لا انقطاع لها لا ينفكون عنها، ولا يخرجون منها، ولا يفارقونها [٢].

ثانياً: قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١١٧﴾.

١- قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ﴾.

اختلفوا في تفسير الإنفاق الوارد في الآية هنا على قولين:

القول الأول: المراد إنفاق الأموال، والدليل عليه ما قبل هذه الآية، وهو قوله: **﴿لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم﴾** وبه قال جمعٌ من المفسرين[٣].

(١) السمعاني، منصور بن محمد، تفسير القرآن، **مرجع سابق**، ١/٣٥٠.
(٢) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، ٧/١٣٣.
(٣) النحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل، (١٤٠٨هـ)، **معاني القرآن**، جـ١، تحقيق، محمد علي الصابوني، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ص٤٦٤.

القول الثاني: المراد بالإنفاق هنا هو جميع أعمالهم التي يرجون الانتفاع بها في الآخرة سماها الله إنفاقاً، واستدلوا على صحة هذا التأويل بقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران: ٩٢] والمراد به: جميع أعمال الخير(١).

الترجيح: مما سبق يظهر – والله أعلم – أن الأقرب للصواب هو القول الأول وهو أن المراد بالإنفاق هنا هو إنفاق المال(٢). **وذلك لما يأتي:**

أ- لأنَّ هذا هو ظاهر اللفظ. ويؤيد هذا القاعدة الترجيحية: (لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه)(٣).

ب- لأنه هو المتبادر إلى الذهن من كلمة الإنفاق.

ج- لدلالة السياق؛ حيث ورد في سباق الآية قوله: ﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ﴾ فذكر الأموال.

د- لأن هذه الآية ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ﴾ جاءت كالبيان لقوله: ﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ﴾ ولذا لم تُعطف عليها(٤).

هـ- لأنَّ هذا هو رأي جمهور المفسرين.

---

(١) ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، ٤٩٥/١.

(٢) مهارش، **مرجع سابق**، ص: ٥٦٨.

(٣) الحربي، حسين بن علي بن حسين، قواعد الترجيح عند المفسرين، **مرجع سابق**، ١٣٧/١.

(٤) ربعين، جمال محمد، (١٤٢٨هـ)، **ترجيحات الإمام أبي حيان في التفسير**، من أول سورة آل عمران إلى آخر سورة المائدة جمعاً ودراسةً وموازنةً، من خلال تفسيره البحر المحيط، جامعة أم القرى، ص٢٧٥.

٢- **قوله تعالى:** ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ﴾.أيّ: زرع قوم قد أمَّلوا إدراكه، ورجَوْا رَيْعه وعائدة نفعه [١].

٣- **قوله تعالى:** ﴿ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾. اختلف المفسرون في الظلم الذي ظلمه أصحاب الزرع لأنفسهم على ثلاثة أقوال:

القول الأول: ظلموها بالكفر والمعاصي، قال به جمع من المفسرين[٢].

القول الثاني: ظلموها بمنع حق الله تعالى فيه، قال به بعض المفسرين[٣].

القول الثالث: ظلموا أنفسهم بأنهم زرعوا في غير موضع الزراعة، أو في غير وقتها. قال ابن عطية رحمه الله معلقًا على هذا القول[٤]: "وينبغي أن يقال في هذا ﴿ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بأن وضعوا أفعال الفلاحة غير موضعها من وقت، أو هيئة عمل، ويُخص هؤلاء بالذكر؛ لأنَّ الحرق فيما جرى هذا المجرى أوعبُ وأشد تمكنًا".

الترجيح: مما سبق يظهر – والله أعلم – **أن الأقرب للصواب هو القول الأول؛** لأن المقصود من المثل توضيح أن الكفر هو الذي يحبط العمل.

٤- **قوله تعالى:** ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾. اختلف المفسرون في مرجع الضمير في قوله: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ على قولين:

---

(١) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، ١٣٤/٧.
(٢) الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، الكشف والبيان في تفسير القرآن، **مرجع سابق**، ١٣٣/٣.
(٣) ابن عبد السلام، عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، (١٤١٦هـ)، **نُبذ من مقاصد الكتاب العزيز**، جـ١، حققه: أيمن عبد الرزاق، دمشق، مكتبة الغزالي، ص٤١٩.
(٤) **نفس المرجع**، ٤٩٥/١.

القـول الأول: يرجـع الـضمير للكفـار المُنْفِقِين الـذين تقـدم ضـميرهم ﴿يُنفِقُونَ﴾ والمعنـى: أنّ الله لـم يظلمهـم حـين لـم يتقبـل نفقـاتهم بـل هـم تـسبّبوا فـي ذلـك بـالكفر الموجب لضياعها حيث لم يأتوا بها مستحقة للقبول قال به جمعٌ من المفسرين(١). واستدلوا على ذلك بما يأتي:

١- قوله ﴿وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فعلُ حالٍ يدل على أنه للحاضرين(٢).

٢- ضُرِب المثل لبيان حال الكفار المنْفِقِين، فهم المقصودون بالذات (٣).

القـول الثـاني: يرجـع الـضمير إلـى أصـحاب الـزرع، أيّ: ومـا ظلمهـم الله بـإهلاك حـرثهم ولكـن هـم ظلمـوا أنفـسهم بارتكـاب مـا اسـتحقوا بـه العقوبـة، قـال بـه بعـض المفسرين(٤).

وقد ضعف أصحاب القول الأول هذا القول بما يأتي:

١) أن أصحاب الحرث لم يُذْكروا ليُرد عليهم، ولا ليُبَيّن ظلمهم(٥).

---

(١) البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، **مرجع سابق**، ٩٤/٢.

(٢) ابن جزي، محمد بن أحمد الكلبي، (١٤١٥هـ)، **التسهيل لعلوم التنزيل**، جـ١، ضبطه وصححه محمد سالم هاشم، لبنان، دار الكتب العلمية، ص١٥٦.

(٣) رضا، محمد رشيد بن علي، تفسير المنار، **مرجع سابق**، ٦٥/٤.

(٤) ابن عبد السلام، عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، نُبذ من مقاصد الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، ٤٢٠/١.

(٥) ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، ٤٩٥/١-٤٩٦.

٢) أن الحديث عن ظلم أصحاب الحرث لأنفسهم قد مرّ التعرض له تصريحًا وذلك في قوله تعالى: ﴿ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾[١].

الترجيح: مما سبق يظهر – والله أعلم – أن الأقرب للصواب هو القول الأول، وهو أن الضمير يرجع إلى الكفار المُنْفِقِين[٢].

وذلك لما يأتي:

١- لقوة ما استدل به أصحاب القول الأول.

٢- لأنَّ سياق الآيات يتحدث عن الكفار المُنْفِقِين، وضُرِب المثل من أجل توضيح ظلمهم لأنفسهم بالكفر، وأثر ذلك على نفقتهم.

٣- ويؤيد ذلك القاعدة الترجيحية: (إعادة الضمير إلى المُحَدّث عنه أولى من إعادته إلى غيره)[٣].

٤- هذا القول هو قول أكثر المفسرين.

---

(١) أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، **مرجع سابق**، ٧٥/٢.

(٢) ربعين، جمال محمد، ترجيحات الإمام أبي حيان في التفسير، **مرجع سابق**، ص٢٨٠.

(٣) الحربي، حسين بن علي بن حسين، قواعد الترجيح عند المفسرين، **مرجع سابق**، ٦٠٣/٢.

٥- على القول الثاني يكون قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ تأكيدًا[١] لقوله: ﴿ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ وعلى القول الأول يكون للتأسيس، وحمل الكلام عليه أولى من حمله على التأكيد[٢].

المطلب الرابع: الاستنباطات.

أولاً: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.

أ- في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ من الاستنباطات ما يأتي:

١- حَكَم الله ﷻ أنَّ الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله ﷻ شيئًا، فقد أشار إلى أنَّ السبب في ذلك كفرهم؛ لأن التعبير بالموصول يشير إلى أن سبب هذا الحكم هو الكفر[٣].

٢- قدم الله ﷻ المال في هذه الآية على الأولاد؛ لأنَّ المال في باب المدافعة، والتقرب، والفتنة أبلغ من الأولاد[٤].

---

(١) عبد الرحيم بن الحسن الإسنوي، (١٤٠٠هـ)، **التمهيد في تخريج الفروع على الأصول**، تحقيق: محمد حسن هيتو، بيروت، مؤسسة الرسالة، ص١٦٧.

(٢) اليحيى، عبد العزيز بن إبراهيم بن محمد (١٤٣١هـ)، **ترجيحات ابن جزيّ الكلبي في تفسيره عرضاً ومناقشة**، من أول سورة آل عمران حتى نهاية سورة المائدة، جامعة أم القرى، قسم الكتاب والسنة، ص٢١٠.

(٣) أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى، زهرة التفاسير، **مرجع سابق**، ١٣٧٣/٢.

(٤) أبو حيان، البحر المحيط، **مرجع سابق**، ٤٠٤/٢.

ب- في قوله تعالى: ﴿وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ من الاستنباطات ما يأتي:

١- التعبير بلفظ الصحبة يقتضي ثبوت ذلك لهم ودوامه، فإنما جعلهم أصحابها؛ لأنهم أهلها الذين لا يخرجون منها ولا يفارقونها، كصاحب الرجل الذي لا يفارقه، وقرينه الذي لا يزايله؛ فهم مختصون بها(١).

٢- في هذا التعبير إشارة إلى أنهم بعد أن كانوا يصطحبون في الدنيا أموالهم مفاخرين بها، وأولادهم مستنصرين بهم، يصاحبون بدلهم في الآخرة النار، والعذاب الأليم، وبعد أن تركوا نعيمًا غير مقيم استقبلهم شقاء دائم مستمر(٢).

٣- ختم سبحانه الآية بقوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ للتأكيد بما ورد في الجملة الأولى ﴿وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ﴾ (٣) من أنّ صحبتهم إياها صحبة لا انقطاع لها، إذْ كان من الأشياء ما يفارق صاحبه في بعض الأحوال، ويزايله في بعض الأوقات، وليس كذلك صحبة الذين كفروا النارَ التي أصْلوها، ولكنها صحبة دائمة لا نهاية لها ولا انقطاع (٤).

---

(١) البقاعي، إبراهيم بن عمر، ١٤٠٨هـ، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، **مرجع سابق**، ٣٥/٥.

(٢) أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى، زهرة التفاسير، **مرجع سابق**، ١٣٧٣/٢.

(٣) الألوسي، محمود بن عبد الله بن محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، **مرجع سابق**، ٣٥/٤.

(٤) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، ١٣٣/٧.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾.

أ- في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ من الاستنباطات ما يأتي:

١- بيان لعدم إغناء أموالهم التي كانوا يعولون عليها في جلب المنافع ودفع المضار ويعلقون بها أطماعهم الفارغة[١].

٢- أفرد الله ﷻ ريحًا؛ لأنّها مختصة بالعذاب، كما في قوله تعالى: ﴿... بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[الأحقاف: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾[القمر: ١٩]، وغير ذلك من المواضع ، والجمع مختصٌ بالرحمة كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾[الروم: ٤٦]، ولذلك قال النبي ﷺ: "اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رِيَاحًا، وَلاَ تَجْعَلْهَا رِيحًا"[٢].

ب- في قوله تعالى: ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ من الاستنباطات ما يأتي:

(١) الألوسي، محمود بن عبد الله بن محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، **مرجع سابق**، ٣٦/٤.

(٢) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير، ح رقم (١١٥٣٣)،٢١٣/١١، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الضعيفة والموضوعة، ج:٩، (الرياض، مكتبة المعارف،١٤٢٢هـ)، ص٢٢٨.

١- الحرث شامل للزرع والثمار؛ لأنَّ الجميع مما يصدر عن إثارة الأرض، وهي حقيقة الحرث[١].

٢- في الآية إشارة إلى أنَّ الله ﷻ يعاقب بالريح من يظلمون أنفسهم بارتكاب المعاصي، فإن هذا النص السامي يومئ إلى أن الله تعالى يرسل في الدنيا عقابًا على أموال الظالمين فيهلكها، ولو اتخذوا الأسباب وما يجب اتخاذه من احتياط لحفظ الأموال، وإن ذلك التخريج لَا يوجد ما يمنع من قبوله، بل الإذعان له؛ لأنَّ تدبير العبد واحتياطه لَا يمنع تقدير الرب وقضاءه على أموال الظالمين فيهلكها[٢].

ج- في قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ من الاستنباطات ما يأتي:

١- في الآية دليل على أن كلّ ما فعله الله ﷻ بخلقه فهو عدل منه[٣].

٢- لمَّا أعلم الله ﷻ الكفار أن الإيمان شرطاً في قبول الأعمال، وأنذرهم لم يكن عقابه بعد ذلك ظلماً لهم، وهذا فيه إيذان بأنّ الله ﷻ لا يخالف وعده من نفي الظلم عن نفسه[٤].

---

(١) ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، ٤٩٥/١.

(٢) أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى، زهرة التفاسير، **مرجع سابق**، ١٣٧٥/٣-١٣٧٦.

(٣) الواحدي، علي بن أحمد، (١٤١٥هـ)، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، جـ١، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، لبنان، دار الكتب العلمية، ص٤٨٢.

(٤) ابن عاشور، محمد الطاهر، (١٤٢٨هـ)، **مقدمة كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ**، جـ٤، ط٢، ضبط نصه وعلق عليه: طه بن علي بوسريح التونسي. تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع، ص٦٢.

٣- إثبات أن الله ﷻ تعالى موصوف بالنفي كما هو موصوف بالإثبات؛ وهو ليس نفيًا محضًا، بل هو متضمن لإثبات كمال ضد ذلك المنفي، ففي قوله تعالى: ﴿وَمَاظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أيّ: لكمال عدله[١].

(١) محمد بن صالح العثيمين، القواعد المثلى في شرح صفات الله وأسمائه الحسنى، **مرجع سابق**، ٩٤/٢.

المبحث الثالث: التفسير الجُمَلِي.

بعد أن بيَّن ﷻ في آيات سابقة أعمال الكافرين وأحوالهم، أشار ﷻ في هذه الآية إلى مبعث جحودهم وهو اغترارهم واعتزازهم بأموالهم وأولادهم، وقد حكم ﷻ أنها لن تدفع عنهم من عذاب الله ﷻ شيئًا يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ ﴾[سبأ: ٣٧]، فلا ينالون بها فوزًا، ولا يُنَجَّون بها من خزي، بل تكون أموالهم وأولادهم زادًا لهم إلى النار، وحجة عليهم في زياة نِعَم الله ﷻ عليهم التي تقتضي منهم شكرها، فيعاقبون على كفرها، فلا ينفع الإنسان إلا إيمانه، وعمله الصالح، وهؤلاء الكفار هم ملازمون للنار، مصاحبون لها، لا ينفكّون عنها، وماكثون فيها أبدًا على الدوام.

ثم ضرب الله ﷻ مثلًا لبطلان نفقات الكفار وذهابها، وعدم منفعتها لهم، وأنها مضمحلّة عند حاجتهم إليها بزرع قوم ظلموا أنفسهم بأنهم عصوا الله ﷻ، وتعدَّوا حدوده، أصابته ريحٌ شديدة البرودة، وهم يرجون خير زرعهم، وبه فرحون، وقد أمَّلوا إدراكه، ورجَوْا رَيْعه، فأفسدته تلك الريح وقضت عليه نهائيًا فلم ينتفعوا بشيء منه بعد الذي كانوا عليه من الأمل، ورجاء عائدةَ نفعه عليهم، فلم يحصل لهم إلا العناء، والتعب، والأسف، ولم يبقَ لهم إلا الحسرة والندامة.

وكذلك هؤلاء الكفار قد استوجبوا إحباط أجر نفقاتهم؛ لأنَّهم لم يكونوا لله ﷻ بالوحدانية دائنون، ولأمره مُتبعون، ولرسله مصدقون، بل كان ذلك منهم وهم به

مشركون، ولأمره مخالفون، ولرسله مكذبون، بعد أن أخبرهم سبحانه أنه لا يقبل عملًا من عامل إلا مع إخلاص التوحيد له، والإقرار بنبوة أنبيائه، وتصديق ما جاءوهم به، وتوكيده الحجج بذلك عليهم، ولم يظلمهم الله ﷻ بذلك بل هم الظالمون لأنفسهم؛ لإكسابها من معصية الله ﷻ، وخلاف أمره، ما أوردها به نار جهنم، وأحبط أجر نفقاتهم[1].

(١) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، ٧/١٣٤-١٣٥، ١٣٧-١٣٨.

الخاتمة:

الحمد الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه ومداد كلماته، الحمد لله حمدًا يليق بجلال وَجْهِه، وعظيم سلطانه، الحمد لله الذي أكرمني وأعانني ويسر لي بمنه وكرمه وفضله إتمام البحث، أحمده سبحانه حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

ففي نهاية المطاف، وبعد أن عشت في رحاب الآيات العظيمة من (١١٣-١١٧) من سورة آل عمران، وصحبتها ليلًا ونهارًا، صيفًا وشتاءً وخريفًا وربيعًا استفدت الكثير، ووقفت على كثيرٍ من معاني الآيات العظيمة، وازداد حبي لكتاب الله ﷻ أكثر، فأحمد الله العظيم الكريم الذي أكرمني بالانضمام لهذا المشروع المبارك.

وقد توصلت إلى نتائج قسمتها إلى قسمين: نتائج عامة ونتائج خاصة بالآيات:

القسم الأول: من أهم النتائج العامة:

١- أنَّ علماء الأمة الإسلامية على مدار تاريخها وإلى العصر الحاضر حرصوا على العناية بتفسير كتاب الله ﷻ، مما أوجد لنا الكثير من مراجع التفسير المتنوعة، وكان من عظيم فضل الله ﷻ على خلف الأمة أنْ يسر لهم حفظ ما تركه سلفها الصالح من تراث عظيم.

٢- أن للمفسرين طرائق مختلفة ومتعددة في تأليفهم للتفسير، فهناك التفسير بالمأثور المسند وغير المسند، والتفسير بالرأي، والتفسير الإجمالي، ومن المفسرين من اعتنى بجوانب من العلوم غلبت على تفسيره، فمنهم من اعتنى

بالجوانب اللغوية والإعراب، ومنهم من اعتنى بالجوانب البلاغية، ومنهم من اعتنى بالجوانب الفقهية، ومنهم من اعتنى بالجوانب العقلية.

٣- أن أغلب أسانيد الأقوال المأثورة في التفسير يُعتد بها؛ لوجود الكثير من النسخ التفسيرية المشهورة.

٤- أن كل مُفَسِر استفاد ممن سَبَقَه من المفسرين.

٥- أن أغلب الخلاف بين المفسرين هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد.

القسم الثاني: من أهم النتائج الخاصة بالآيات:

١- عدل الله ﷻ في إظهار الفئة المؤمنة من أهل الكتاب الذين آمنوا بالإسلام، وصدقوا بالقرآن، ورغبوا في دين اللّه ﷻ ورسخوا فيه، وقد وصف الله ﷻ هذه الفئة بصفات ثمانية وهي: أنها قائمة بأمر الله ﷻ مستقيمة على الحق، ويتلون آيات الله ﷻ آناء الليل وهم يسجدون، ويؤمنون بالله ﷻ واليوم الآخر، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويسارعون في الخيرات، وأنهم من الصالحين، وقد وعدهم الله ﷻ بالثواب على أعمالهم.

٢- عِظَم جزاء الكافرين يوم القيامة باجتماع جميع الأسباب المؤلمة عليهم، وذلك بانعدام دفاع أموالهم وأولادهم عنهم شيئًا من عذاب الله ﷻ، وبالخلود في نار جهنم.

٣- مصير نفقات الكفار ببطلان ثوابها وعدم نفعها لهم يوم القيامة؛ لأنَّ العقيدة هي الأصل، وعليها الاعتماد، وبهذا يتقرر أنَّ ضلال الاعتقاد أساس بلاء الإنسان في الدنيا والآخرة.

٤- ضرب الله ﷻ مثلًا لبطلان ثواب نفقات الكفار يوم القيامة بريح باردة أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته، والمراد من ذلك تقرير بطلان ثواب النفقة، وذهابه بالكلية.

٥- استحسان ضرب الأمثال في الكلام لتقريب المعاني إلى الأذهان، وهو أدعى للإقناع، وأقوى في التأثير.

٦- نهى الله ﷻ المؤمنين عن الثقة بالكفار باتخاذهم بطانة وإطلاعهم على الأسرار.

٧- توجيه الله ﷻ المؤمنين بكيفية التعامل مع هؤلاء الكفار وصدّ كيدهم بلزوم الصبر والتقوى.

٨- قارن الله ﷻ بين موقفين متعارضين للمؤمنين في غزوتي أُحُد وبَدْر، فعاتبهم الله ﷻ في أمر أُحُد، وذكرّهم بفضله ونعمته يوم بَدْر.

٩- في الحديث عن غزوتي أُحُد وبَدْر تذكير للمؤمنين بأسباب انتصارهم في بَدْر، وأسباب هزيمتهم في أُحُد؛ حتى يسلكوا في مستقبل حياتهم السبيل التي توصلهم إلى الظفر، ويهجروا الطريق التي تقودهم إلى الفشل.

التوصيات:

١- ضرورة الاهتمام بالتربية القرآنية سواء في تربية الأفراد أو الأسرة أو المجتمع، لأنه لن تصلح هذه الأمة إلا بما صَلُح به أولها.

٢- أفضل ما تُفْنى فيه الأعمار وتُمْضَى فيه الأوقات هو الاعتناء بكتاب الله ﷻ، ولذا فإن فلاح الأمة وسعادتها مرهونة بالعودة الصحيحة إلى القرآن العظيم حفظًا، وفهمًا، وتدبرًا، وتعلُّمًا، وتعليمًا، وعملًا، وتطبيقًا، فلا عزة للأمة إلا بالعودة إليه.

٣- فتح مشروع يخدم كتاب الله ﷻ فيما يتعلق بعلوم القرآن بتطبيقها على آيات الله ﷻ.

المراجع:

١- ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد الرازي (١٤٠٥هـ). تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين. سورتي آل عمران والنساء، **رسالة دكتوراه**، جامعة أم القرى، دراسة وتحقيق: حكمت بشير ياسين.

٢- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، (١٤٠٤هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، جـ١، ط ٣، بيروت، المكتب الإسلامي.

٣- ابن المنذر، محمد بن إبراهيم النيسابوري، (١٤٢٣هـ)، **تفسير القرآن**، جـ١، حققه وعلق عليه: سعد بن محمد السعد، رقم (٨٣٠)، المدينة النبوية، دار المآثر.

٤- ابن جزي، محمد بن أحمد الكلبي، (١٤١٥هـ)، **التسهيل لعلوم التنزيل**، جـ١، ضبطه وصححه محمد سالم هاشم، لبنان، دار الكتب العلمية.

٥- ابن عاشور، محمد الطاهر، (١٤٢٨هـ)، **مقدمة كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ**، جـ٤، ط٢، ضبط نصه وعلق عليه: طه بن علي بوسريح التونسي. تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع.

٦- ابن عبد السلام، عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، (١٤١٦هـ)، **نُبذ من مقاصد الكتاب العزيز**، جـ١، حققه: أيمن عبد الرزاق، دمشق، مكتبة الغزالي، ص٤١٩.

٧- ابن عرفة، محمد بن محمد بن محمد الورغمي (٢٠٠٨م)، **تفسير ابن عرفة**، جـ١، المحقق: جلال الأسيوطي، لبنان، دار الكتب العلمية.

٨- ابن عطية، عبد الحق بن غالب، (١٤٢٢هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، جـ١، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، لبنان، دار الكتب العلمية.

٩- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، (١٤١٤هـ)، **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، جـ٥، تحقيق: عمر الفاروق الطبَّاع، لبنان، مكتبة المعارف.

١٠- ابن منظور، **لسان العرب**، جـ٢، ط٢، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٧م.

١١- أبو السعادات، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، جـ٣، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي، (بيروت- لبنان: دار إحياء التراث العربي).

١٢- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، جـ٢، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

١٣- أبو حيان، محمد بن يوسف بن حيان، (١٤٢٢ هـ). البحر المحيط. تحقيق: عادل عبد الموجود، علي معوض، وزكريا النوقي، وأحمد الجمل. بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية.

١٤- أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى، **زهرة التفاسير**، جـ٣، دار الفكر العربي.

١٥- أحمد بن عبد الله الأصبهاني، (١٤٠٩هـ)، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، جـ٥، بيروت، دار الكتب العلمية.

١٦- أحمد بن علي الرازي الجصاص، (١٤١٢هـ)، **أحكام القرآن**، جـ٢، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ص٣٢٢.

١٧- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **العجاب في بيان الأسباب**، جـ٢، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، (الدمام: دار ابن الجوزي.

١٨- أحمد يحي البلاذري، **أنساب الأشراف**، جـ١، تحقيق: محمد حميد الله، مصر، دار المعارف، ص٣٤٧.

١٩- الأزدي، مقاتل بن سليمان، (١٤٢٤هـ)، **تفسير مقاتل بن سليمان**، جـ١، تحقيق: أحمد فريد، بيروت، دار الكتب العلمية.

٢٠- إسماعيل حقي بن مصطفى الخلوتي، (١٣٣٠هـ)، **روح البيان**، جـ٢، استنابول – تركيا، مطبعة عثمانية.

٢١- الألوسي، محمود بن عبد الله بن محمود، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، جـ٤، بيروت- لبنان: دار إحياء التراث العربي.

٢٢- الإيجي الشيرازي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد، (١٤٢٤هـ)، جامع البيان في تفسير القرآن، جـ١، تحقيق: عبد الحميد هنداوي. بيروت، دار الكتب العلمية.

٢٣- البغوي، الحسين بن مسعود، (١٤٠٩هـ)، **معالم التنزيل في التفسير والتأويل**، جـ٢، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع.

٢٤- البقاعي، إبراهيم بن عمر، ١٤٠٨هـ، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، جـ٥، المحقق: عبد السميع محمد أحمد، الرياض، المملكة العربية السعودية، مكتبة المعارف.

٢٥- البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٢٦- الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، (١٤٢٢هـ)، **الكشف والبيان في تفسير القرآن**، جـ٣، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٢٧- جابر بن موسى أبو بكر الجزائري، (١٤٢٤هـ)، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، جـ١، طـ٥، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم.

٢٨- الجوهري، إسماعيل بن حماد، (١٩٩٠م)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، جـ٤، طـ٤، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، لبنان، دار العلم للملايين.

٢٩- الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، جـ٣، بيروت، دار الفيحاء، ١٤٣١هـ.

٣٠- الحربي، حسين بن علي بن حسين، (١٤١٧هـ)، **قواعد الترجيح عند المفسرين**، جـ٢، الرياض، دار القاسم.

٣١- الحسين بن عمر الدامغاني، **إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**، ط ٣، حققه عبد العزيز سيد الأهل، (بيروت – لبنان: دار العلم للملايين،١٩٨٠م).

٣٢- الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم، (١٣٩٩هـ)، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، جـ١، بيروت، دار الفكر.

٣٣- خالد بن سليمان المزيني، **المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة**، دراسة الأسباب رواية ودراية، جـ١، (الدمام– المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤٢٧هـ).

٣٤- خير الدين الزركلي، (١٩٨٠م)، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، جـ٦، ط ٥، بيروت، دار العلم للملايين.

٣٥- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، (١٤١٥هـ)، **مختار الصحاح**، جـ٨، تحقيق: محمود خاطر، بيروت، مكتبة لبنان.

٣٦- ربعين، جمال محمد، (١٤٢٨هـ)، **ترجيحات الإمام أبي حيان في التفسير**، من أول سورة آل عمران إلى آخر سورة المائدة جمعاً ودراسةً وموازنةً، من خلال تفسيره البحر المحيط، جامعة أم القرى.

٣٧- الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، (١٤٠٨هـ)، **معاني القرآن وإعرابه**، جـ١، شرح وتحقيق: عبد العزيز عبده شلبي، بيروت، دار عالم الكتب.

٣٨- سبحاني، محمد عناية الله أسد، (١٤١٤هـ)، **البرهان في نظام القرآن**، دار الكتب.

٣٩- سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط، (١٤١١هـ)، **معاني القرآن**، تحقيق: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي.

٤٠- السمرقندي، نصر بن محمد بن إبراهيم، ١٤١٣هـ، **بحر العلوم**، جـ١، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي محمد، زكريا النوتي. بيروت، دار الكتب العلمية.

٤١- السمعاني، منصور بن محمد، ١٤١٨هـ، **تفسير القرآن**، جـ١، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس، الرياض، دار الوطن.

٤٢- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (١٣٩٩هـ)، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، جـ١، ط ٢، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر.

٤٣- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، جـ١، دار عالم الفوائد.

٤٤- الشوكاني، محمد بن علي (١٤١٨هـ)، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، جـ١، بيروت، دار الكتب العلمية.

٤٥- الشوكاني، محمد بن علي، (١٤٢٤هـ)، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، جـ١، ط ٣، الرياض، مكتبة الرشد.

٤٦- صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، (١٤٢٠هـ)، **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث.

٤٧- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، **جامع البيان في تأويل القرآن**، جـ٧، ط ٢، المحقق: أحمد محمد شاكر، القاهرة ، مكتبة ابن تيمية.

٤٨- طنطاوي، محمد سيد، (١٩٩٧م)، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، جـ٢، القاهرة، دار نهضة مصر.

٤٩- الطيبي، الحسين بن عبد الله، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب سورة آل عمران، **رسالة ماجستير**، ١٤١٦هـ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، دراسة وتحقيق: حسن بن أحمد بلغيث العمري.

٥٠- عبد الحيّ بن أحمد بن محمد العكري (١٤١٣هـ)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، جـ ٨، حققه: محمود الأرناؤوط، دمشق، دار ابن كثير.

٥١- عبد الرحيم بن الحسن الإسنوي، (١٤٠٠هـ)، **التمهيد في تخريج الفروع على الأصول**، تحقيق: محمد حسن هيتو، بيروت، مؤسسة الرسالة.

٥٢- عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد، **الكامل في ضعفاء الرجال**، (١٤٠٩هـ)، جـ٦، تحقيق يحيى مختار غزاوي، بيروت، دار الفكر.

٥٣- عطية بن نوري بن محمد آل خلف الفقيه، أسانيد نسخ التفسير والأسانيد المتكررة في التفسير جمعًا ودراسة، **رسالة ماجستير**، جامعة أمّ القرى، مكّة المكرّمة (١٤٢٨هـ).

٥٤- علي بن أحمد الواحدي، **أسباب نزول القرآن**، تخريج: عصام عبد المحسن الحميدان، (الدمام: دار الأصلاح، ١٤١٢هـ.

٥٥- علي بن محمد بن حبيب الماوردي، **النكت والعيون**، جـ١، تحقيق: السيد بن عبد المقصود، بيروت، دار الكتب العلمية.

٥٦- عمر بن علي ابن عادل الدمشقي، (١٤١٩هـ)، **اللباب في علوم الكتاب**، جـ٥، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي معوض، بيروت، دار الكتب العلمية.

٥٧- المحلي، جلال الدين محمد، والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **تفسير الجلالين**، القاهرة، دار الحديث.

٥٨- محمد بن أحمد الأزهري، (١٣٨٧هـ)، **تهذيب اللغة**، جـ١٥، تحقيق: عبد السلام هارون، ومحمد علي النجار، وعبد الحليم النجار، وآخرون، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٥٩- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله (البخاري): **الجامع المسند الصحيح**، جـ٣، ح (٢٤٩٣)، في كتاب الشركة، بَاب هَلْ يُقْرَعُ فِي الْقِسْمَةِ وَالِاسْتِهَامِ فِيهِ، بيروت، دار طوق النجاة، ٢٠٠١م.

٦٠- محمد بن حبيب البغدادي، **الْمُنَمَّقُ فِيْ أَخْبَارِ قُرَيْش**، المحقق: خورشيد أحمد فاروق، بيروت، عالم الكتب.

٦١- محمد بن صالح العثيمين، (١٤١٤هـ)، **القواعد المثلى في شرح صفات الله وأسمائه الحسنى**، ط ٢، حققه وخرّج أحاديثه: أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، القاهرة، مكتبة السنة.

٦٢- محمد بن عبد الله الحاكم، المستدرك على الصحيحين، (وبذيله التلخيص للذهبي)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية،١٤١١هـ.

٦٣- محمد بن عبد الله الصغيّر: **دليل المتشابهات اللفظية في القرآن الكريم**. (الرياض- المملكة العربية السعودية: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ.

٦٤- محمد بن عُزير السجستاني، (١٤١٦هـ) **نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن**، المحقق: محمد أديب عبد الواحد جمران، سوريا، دار قتيبة.

٦٥- محمد رشيد بن علي رضا، (١٩٩٠م)، **تفسير المنار**، جـ٤، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٦٦- محمد عناية الله أسد سبحاني، (١٤١٤هـ)، **البرهان في نظام القرآن**، جـ٢، دار الكتب.

٦٧- محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الضعيفة والموضوعة، ج٩، (الرياض، مكتبة المعارف،١٤٢٢هـ).

٦٨- محمود بن عمر الزمخشري، **الفائق في غريب الحديث**، جـ٣، ط٢، تحقيق: علي البجاوي، محمد أبو الفضل، (بيروت – لبنان: دار المعرفة).

٦٩- محيي الدين بن شرف بن مرّي النووي، **تهذيب الأسماء واللغات**، جـ١، بيروت، دار الكتب العلمية.

٧٠- المَرَاغيّ، أحمد مُصطفى، ١٣٦٥هـ، **تفسير المَرَاغي**، جـ٤، القاهرة، مكتبة ومطبعة مُصطفى البابي الحَلَبي.

٧١- مسلم بن الحجاج أبو الحسن (مسلم): **المسند الصحيح المختصر**، ح رقم (٨٠٣)، في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت).

٧٢- النحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل، (١٤٠٨هـ)، **معاني القرآن**، جـ١، تحقيق، محمد علي الصابوني، مكة المكرمة، جامعة أم القرى.

٧٣- النيسابوري، الحسن بن محمد بن حسين القمي، (١٤١٦هـ)، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، جـ٢، المحقق: زكريا عميران، لبنان، دار الكتب العلمية.

٧٤- الواحدي، علي بن أحمد، (١٤١٥هـ)، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، جـ١، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، لبنان، دار الكتب العلمية.

٧٥- الواحدي، علي بن أحمد، (١٤١٥هـ)، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، جـ١، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، سوريا، دار القلم.

٧٦- اليحيى، عبد العزيز بن إبراهيم بن محمد (١٤٣١هـ)، **ترجيحات ابن جزيّ الكلبي في تفسيره عرضاً ومناقشة**، من أول سورة آل عمران حتى نهاية سورة المائدة، جامعة أم القرى، قسم الكتاب والسنة.